

تاريخ ما أهمله التاريخ

عز الأقدسين



الكتاب الماسى

تاريخ ما أهملته التاريخ
مصر الأقدمين

حبيب حمامى

أهداء

الى ارواح العلماء الباحثين ، سواء اكانوا من
العرب الاقربين ، ام من الاغراب الابعدين ، الذين
اكبوا على التاريخ الذى ليس له بين تواريخ الامم
فى الشرق والغرب مثيل : تاريخ مصر الفارق فى
القدم ، وتيلاها المبارك ، وشعبها العريق
يستطلعون خفاياه ، ويفكون رموزه ، ويستجلبون
غوامضه ، ويساهم كل منهم فى مجال اختصاصه ،
فى ترتيب احقابه ، وتنسيق وقائعه ، اهدى
هذه الحفنة من الاقاصيص ، التى تبرز فيها
الحقيقة بالخيال ، تحية متواضعة لذكراهم ،
واعترافا بجميلهم ، واقرارا بفضلوهم ، فى تدوين
اضخم مصنف لا قدم مدنية عرفها البشر !

تصدير

يجد القارئ في هذا الكتاب مجموعة أخرى من الأقاصيص المستخلصة من « هوامش » التاريخ . فالتاريخ سلسلة متواصلة الحلقات من الأقاصيص ، فيها الفواجع ، وفيها المآسي ، وفيها المهازيل . والإنسان اليوم هو الإنسان بالأمس ، فضائله هي هي ، وعيوبه هي هي ، والعبر التي نستمدّها من وقائع التاريخ لا تقل في روعتها عن العبر التي نستمدّها من حوادث الحياة اليومية في مجتمعنا العصري

فهذه الأقاصيص ، كما قلت في مقدمات سابقة ، فيها تسلية ، وفيها درس !

وقد أصدرت « الدار القومية للطباعة والنشر » حتى الآن ، في « الكتاب الماسي » خمس حلقات من سلسلة الأقاصيص التي جعلت لها عنواناً شاملاً : « تاريخ ما أهمله التاريخ » . والحلقات التي صدرت من قبل ، هي :

- ١ - الحلقة الأولى بعنوان : « بطولات عربية »
- ٢ - الحلقة الثانية بعنوان : « الناصر صلاح الدين »
- ٣ - الحلقة الثالثة بعنوان : « مصر مقبرة الفاتحين »
- ٤ - الحلقة الرابعة بعنوان : « أندلس العرب »
- ٥ - الحلقة الخامسة بعنوان : « الجنة في ظلال السيوف »

وها هي ذي الحلقة السادسة يضمها « الكتاب الماسي » بعنوان : « مصر الأقدمين » وبها عشرون قصةً مصرية ، وقعت حوادثها في عهود الفراعنة ، بطيبة ومنف ، وعهد البطالسة بالاسكندرية ، وفي خلال الاحتلال الروماني الذي سبق الفتح العربي ببضعة قرون .

ووقوع حوادث هذه الأقاصيص في العصور التي ذكرتها يفسر العنوان الذي وضعته لها : « مصر الأقدمين » .

ان الشعوب التي لها حاضر تعمل فيه لتأمين مستقبلها ، والتي ليس لها ماضٍ تفاخر به ، تكثر من التغنى بقول القائل : « يا سعد أمة ليس لها تاريخ ! » وتحرف هذا القول أحياناً فتجعله : « يا سعد أمة ليس لها مشكلات ! » وذلك باعطاء كلمة « ايستوار » الفرنسية أحد المعنيين : « تاريخ » أو « مشكلة » .

ولكن هذا القول ، أيا كان المعنى الذي يؤديه ، لا ينطبق على الأمم الشرقية عامة ، ولا على الشعب المصري ووطنه بصورة خاصة .

وعلى هذا ، فليس له مكان في لغة التخاطب أو في لغة الكتابة في هذا الجزء من العالم ، والشعب المصري يباهى بتاريخه ، ويفخر بماضيه ، ولا يتهرب من مواجهة المشكلات التي تعترضه في تطوره الحاضر ، والمتاعب التي تثيرها في طريقه الدخائل الخارجية ، والمطامع الأمبريالية .

وهو يقول ويردد ولا يبالى :

« يا سعد أمة لها تاريخ ! » أو : « يا سعد أمة لها مشكلات ! »
فالتاريخ الطويل الذي عاصر الدهر وواكبته الأجيال ، إنما هو مصدر قوة وعامل اعتزاز ، والمشكلات مهما تعددت وتكاثر ، إنما من شأنها أن تشجّل الهمم وتحث على العمل ، لجعل المستقبل زاهرا وجديرا بالماضي العظيم !

حييب جاماتي

القاهرة

ربيع الآخر سنة ١٣٨٢

سبتمبر - ايلول سنة ١٩٦٢

طيف نيتوكريس

كان انتقامها من اعدائها رهيبا ، ف راحت
في النهاية ضحيته ، ولا يزال طيفها يحوم حول
الأهرام !



الملكة نيتوكريس تقيم حفلة صيد على
النيل يوم تسلمها العرش
(للمصور هاني مكارثي)

المدينة الضخمة ساكنة هادئة ، على ضفاف النيل الجارى بين
أحضانها ، تحوطه بذراعيها وقد اطمأن اليها واطمأنت اليه ، وصب
القمر الساطع فى كبد السماء الصافية سيلا من أشغته النيرة على «منف»
عاصمة الفراعنة ونهرها المقدس المبارك ، والناظر الى تلك الكتل
المتتابعة المتراسة من القصور والدور والشوارع والبيادين ، التى لا ينبعث
منها صوت ولا تبدو فيها حركة ، لا يتصور ان فتنة هوجاء قد اكتسحت
هذه المدينة وروعت سكانها من عهد قريب . لكن الاعين فى القصر الملكى
ظلت ساهرة ، وركنا من أركانه ظل مضاء ، والحركة ظلت قائمة فى
الردهات والممرات المؤدية الى ذلك الركن ، حيث خلت الملكة الى نفسها
فى حجرة زينتها ، وانبطحت على الأرض أمام لوحات ملئت بالرسوم
والخطوط ، وراحت تفحصها وتمعن النظر فى دقائقها ، فحصر العارف
الحبير وامعان العازم على أمر خطير !

ودخل شخص على الملكة بلا استئذان ، ففطنت اليه من وقع
قدميه ، وعرفت من هو لأنها لم تكن تسمح لغيره بأن يزعمجها فى خلوتها ،
فخاطبته بدون أن ترفع أنظارها عن اللوحات المبسوطة أمامها ، وفى لهجة
مرجت فيها الرقة بالحزم :

— لا أرى داعيا لاي تعديل فى خطتنا يا تانا جى . . فلم يبق علينا
إذن الا أن نعمل الى التنفيذ ، ونحدد سيره مرحلة بعد مرحلة . . . اجلس ،
ولنتفاهم . . .

اسمها « نيتوكرثى » ومعناه بلغة قدماء المصريين « الحسناء ذات
الخددين الورديين » وقد حرف المؤرخون اليونانيون هذا الاسم فجعلوه
« نيتوكريس » وهو الذى انتقل اليها من خلال الاجيال المتعاقبة ، وقد
حكمت الأسرة السادسة مصر مائة وخمسين سنة ، من سنة ٢٦٢٥ الى
٢٤٧٥ قبل الميلاد ، ونقشت على صفحات المعابد والمدافن أسماء ملوكها
« بيبى الاول » ، و « بيبى الثانى » ، و « مونرع » . ولكن الأقدار شاءت
أن يختم عهد هذه الأسرة باسم امرأة هى « نيتوكريس » ، أول ملكة
عرفها التاريخ . .

وقد شاطرت « نيتوكريس » زوجها الشاب عرش مصر عندما خلف
عليه الملك « بيبى الثانى » ، ولكنه لم ينعم بالملك أكثر من بضعة أشهر ،
أو بضعة أسابيع ، تأمر عليه بعدها أشرف الدولة وقتلوه اغتيالا ،
على أمل ان يتقاسموا ملكه فيما بينهم ، ويجعلوا من الدولة الواحدة

الكبيرة ، مجموعة من الدويلات الصغيرة . وكان فرعون القليل اخا «نيتوكريس» وزوجا لها ، ولذلك كان انتقامها له مزدوجا ..

نفى الليلة التي اقترفت فيها الجريمة ، جمعت حولها رهطا من الاعوان المخلصين ، الذين ظلوا على ولائهم للأسرة المالكة ، واتفقت معهم على التظاهر بقبول ما حدث ، والارتياح الى ما قام به المتآمرون من انقلاب مخضب بالدم . وتحاللت على الناقمين بحيث حملتهم على مفاوضاتها في أمر البقاء متربعة على العرش ، ريثما يتم الاتفاق بينها وبينهم على ارضاء مطامعهم وتحقيق اغراضهم ، دون حاجة الى استعمال العنف وما يترتب عليه من قلق واضطرابات ، قد تجرف الأسرة وأصدقاءها وخصومها في تيارها الاهوج ..

ودعت الملكة جميع الاشراف الى نزهة في النيل ، بدون استثناء القتلة السفاحين الذين اغتالوا الجالس على العرش ، وأعدت لتلك النزهة العجيبة نربا من السفن ، زودتها بأفخر الرياش ، وأطيب أنواع الطعام والشراب ، ومضى ذلك الموكب يمزج عباب النهر ، بين أنغام الموسيقى ، وغناء المنشدين ، وجعل المدعوون يتبارون في الأكل والشرب تارة ، وفي الصيد تارة أخرى . وقد اعتقدوا ان الملكة فرحة لمصرع زوجها ، وان بقاء امرأة على عرش الفراعنة سيجعله لعبة في أيديهم ، وان شؤون الدولة ستكون رهن رغباتهم وتصرفاتهم . وهل سمع أحد من قبل ان المرأة تحسن سياسة الملك وتصلح للقضاء في أمور الرعية ؟

وتبعت هذه الدعوة دعوات متلاحقة متواصلة ، وغالت «نيتوكريس» في اكرام الاشراف والتحبب اليهم ، وأغدقت عليهم النعم بلا حساب ، واكثرت من استشارتهم والاستئناس بأرائهم ، فاطمأنوا اليها الواحد بعد الآخر ، وأقروا على عرش زوجها ، وراح كل منهم يعلل النفس سرا بامتلاك قلبها في المستقبل ، واتخاذها زوجة له ، والجلوس معها على أريكة الملك جنباً الى جنب !

ولما أدركت «نيتوكريس» أن شكوك الاشراف قد تبددت ، وان الشعب لا يضير لشخصها حقدا ، بل لا يبخل عليها بمظاهر العطف والولاء ، قررت أن تضرب ضربتها ..

وكان القائد «ثاناجي» أقرب المقربين اليها ، وأوفى الأوفياء لذكرى زوجها القليل ، وأشجع الشجعان بين رؤساء جيشها ، وأوفرهم ذكاء وفطنة ، فضلا عما يكنه قواده من حب مقيم للملكة الفاتنة ، وأمل في أن تقابله ، من ناحيتها ، بحب يرفعه الى مصاف الملوك . وقد وقع اختيارها عليه ليكون على رأس المؤامرة التي حاكت خيوطها في عزلة مخدعها ، خلال ساعات الليل والنهار ، منذ أن أطاحت المؤامرة الاولى برأس زوجها وأخيها ...

وقد تفننت الملكة الداهية في اعداد وسائل انتقامها ، وأرادت أن تأخذ بشار الملك والأسرة بصورة لم تخطر من قبل ولن تخطر من بعد في بال أحد . ثم وضعت الخطة بنفسها ، ورسمت خطوط التنفيذ بيدها ، وأطلعت على سرها شخصا واحدا ، هو ذلك القائد المقدم العاشق ، ثانا جى ، الذى عهدت اليه الملكة في الاشراف على تحقيق ما عزمته عليه .

قالت الملكة ، وهى تصوب من مقلتها الى عيني القائد الولهان سهامما نفدت الى فؤاده فضعضته :

— ثانا جى : لسنا في حاجة يا صديقى الى اعادة ما قلناه وكررهنا اكثر من مرة ، منذ أن كشفت لك عن قلبى ، وافضيت اليك بسرى . وفي هذه الساعة التى اتخذ فيها أخطر قرار في حياتى ، أقول لك اننى سأكون زوجة لك ، وستكون رفيق حياتى وتصبح شريكى فى الملك ، عندما يتم لى الثأر الذى أسمى اليه . والآن ، عليك باعداد العدة للبدء بالعمل ، وانشاء القاعة التى سنقيم فيها المأدبة، وأنجاز السرايب الموصلة بينها وبين مجرى النيل ، وأذكر أن مصرنا الى الهلاك ، لو فطن أحد الى سرنا ، أو فشلنا فى اعداد مؤامرتنا أو تنفيذها ..

واقتربت « نيتوكريس » من الرجل المأخوذ بسحر عينيها، زاحفة على بطنها ، متلوية كالحية ، وأحاطت بذراعيها عنق القائد ، وقدمت له فمها ، فتشابكت شفاههما فى قبلة حارة ، أفرغت فيها المرأة كل ما فى أنوثتها من اغراء ، وأفرغ فيها الرجل كل ما يختلج فى صدره من حب وصرغان جميل ..

كان القصر الملكى وملحقاته اشبه بمدينة قائمة بذاتها ، تكتنفه الحدائق والبساتين ، وتتخلل الاشجار صفوف لا نهاية لها من النصب والتماثيل ، وتمتد متنزهاته على ضفاف النيل . وهناك ، على مقربة من النهر الجارى ، وفى ضاحية منعزلة من تلك المدينة الملكية ، حفر المهندسون والعمال والأسرى ، بارشاد «ثانا جى» وأشرافه ، وشيدوا تحت الأرض قاعة فسيحة ، لها منفذ واحد ، ودعموها بالأعمدة ، وزينوها بأبدع الصور والرسوم ، وفرشوها بأفخر الرياش ، ونصبوا فيها الموائد المرمرية والمقاعد الموهبة بالذهب والفضة ، وأوصلوها بمجرى النيل ، بسراديب ضيقة مغلقة من الناحيتين بصحائف من الصخر . ولما انتهى العمل وأصبح كل شيء معدا لتنفيذ ما اضممرته الملكة الداهية ، دعت جميع الاشراف الذين اشتركوا فى اغتيال زوجها، ولقيفا من أعوانها المخلصين ، الى مأدبة فاخرة فى تلك القاعة ، حيث قدمت لهم الد ما يمكن أن تشتهيئه النفس من مأكول ومشرب ، وقامت بنفسها على خدمة ضيوفها ، فكانت تطوف مع الخدم والجواري على

الموائد واحدة بعد أخسرى ، وتبالغ فى الترحيب بالاشراف ، وتوزع
أبنساماتها ذات اليمين وذات اليسار ..

وبإشارة منها ، شرع « ثانا جى » فى اخراج الأصدقاء الموالين من
القاعة ، فأوفد كلا منهم فى مهمة وهمية ، وتسلمت الملكة نفسها من
منفذ القاعة الوحيد الى حدائق القصر ، وتبعها « ثانا جى » وأوصد
الباب ، ولم يبق فى داخل المكان غير الذين كانت الملكة ترغب فى الاقتصاص
منهم ، بعد أن دونت أسماءهم واحدا واحدا ، ووثقت من أن كلا منهم
كان له ضلع فى المؤامرة السابقة ...

وفجأة ، رفعت الأبواب الصخرية عن قوّهات السراذيب ، وتدفقت
منها مياه النيل الى داخل القاعة ، فى هدير ارتعدت له فرائص المدعوين ،
فصحوا من سكرتهم ، ولكن بعد فوات الوقت ! فقد وثبوا من مقاعدهم
مدعورين ، وتزاحموا على باب القاعة يطلبون النجاة ، وحاولوا أن
يسدوا بأجسامهم قوّهات السراذيب . ولكن مياه النيل المتواطئة مع
ملكة النيل ، جرفتهم فى اندفاعها الهائل ، ومالت القاعة شيئا فشيئا ،
فلم تلبث أن أصبحت كالبئر المسدودة ..

وامتأب الاشراف جميعا ، اما خوفا ، واما اختناقا ، واما غرقا ..



وذاقت « نيتوكريس » لذة الانتقام من أعدائها ، والشار لأخيها
وزوجها . وبكت الحسنة ذات الخدين الورديين . ولكن دموعها فى هذه
المرّة كان مبعثها التشفى والفرح !

غير أن الأرق دأهمها منذ ذلك اليوم الرهيب ، وهجر النوم
أجفانها ، وتولاها قلق لم تدرك حقيقة مصدره .. أنها لا تحب « ثانا جى » ،
ولكنها وعدته بالزواج ، ووعدته بالملك ! وهى تسمع صوتا خفيا يهيب
بها من أعماق نفسها ، أن هذا الزواج ستعقبه مؤامرة من الطامعين -
وما أكثرهم - للتخلص منها ومن شريكها . وقد ظلت المرأة تتخبط فى
غمرة ذلك القلق أسابيع وشهورا ، وخانها فى النهاية جلدّها ، وانهارت
أعصابها ، فعولت على وضع حد لذلك العذاب ، بالتخلص من الحياة

وفى صبيحة يوم من أيام الصيف البهية ، وضعت « نيتوكريس »
قرارها موضع التنفيذ ، وألقت بنفسها فى بئر مملوءة بالرماد ، فماتت
خنقا !

وأعد لها الشعب مأتما اشتركت فيه الرعية من أقصى المملكة الى
أقصاها ، وحنط الأطباء جثمانها ، ووضعوا المومياء فى تابوت من الحجر
الازرق ، ودفنت داخل الهرم الثالث ، هرم « منقرع » الذى أنجز
فى عهدها . وكانت وفاتها خاتمة الأسرة السادسة أيضا ..



كان أبعد الناس بأسا ، وأشدّهم حزنا ، بعد موت « نيتوكريس »

ذلك الرجل الذي ساعدها على الثأر ، وأوشك أن يستحوذ في آن واحد على الملك والصولجان : القائد ثانا جي العاشق المفرم !

فقد أصيب المسكين بدهول أفقده صوابه ، فجعل يطوف ليلاً ونهاراً حول الهرم الثالث حيث ترقد شريكته وحبيبته ، وعبثاً حاول إصداقاًؤه أن يعيدوا إليه الثقة والطمأنينة . فقد كان يزجرهم قائلاً : « اننى أراها كل مساء وكل صباح هنا .. انها تخرج من أجلى وتفادر قبرها .. انها تحتضننى ، وتخاطبنى ، وتقبلنى ! »

وفى ذات يوم ، وجد « ثانا جي » ميتاً عند سفح الهرم ، وقد اكب على وجهه ، وبسط ذراعيه كمن يعانق طيفاً !

ومنذ ذلك الوقت ، وعلى كر الأيام ، والأعوام ، والدهور ، راجت تلك الاسطورة المؤثرة التى نقلها الينا المؤرخون اليونانيون عن الملكة نيتوكريس وطيفها الذى يخرج من هرم منقرع فى الليالى القمرية ، ويحوم حول المقابر والمعابد ، وينادى العشاق بأسمائهم ، فيجلبهم إليه بقوة سحرية ، فيندفعون نحوه فاقدى الارادة ملتهمى الشعور، ويلحقون به فوق الرمال ، ويغيبون فى بطن الصحراء ، ولا يعودون منها أبداً !

سفينة فرعون

فرعون مصر سنوسرت الثالث • حفر في القرن
التاسع عشر قبل الميلاد ، قناة تصل البحرين ،
مثل قناة السويس التي حفرت في القرن التاسع
عشر بعد الميلاد .



الربة عشتروت
« تمثال فينيقي »

السفينة الزاهية تتهادى على صفحة الماء ، نداعب الأمواج الخفيفة جوانبها ، وتدفعها الرياح الشمالية برفق الى الامام . فالطقس ربيعى جميل ، والسماء صافية الاديم فى النهار ، متألثة بالنجوم فى الليل . وعلى ظهر السفينة : انغام والحنان وانشيد ، تتصاعد بلا انقطاع من أفواه الرجال والنساء على السواء ، يتخللها أحيانا الرقص القومى أو الدينى ، والدعاء الى الآلهة بأن ترعى المسافرين بعين عنايتها ، وتوصلهم سالمين الى بر الأمان !

انهم بضع عشرات من المصريين والفينيقيين ، فى طريقهم الى وادى النيل المبارك ، لتقديم هدية الى فرعون .

انهم لا يحملون الهدية ، بل الهدية هى التى تحملهم ! فالسفينة التى تتهادى بهم تجاه الشاطئ ، صنعتها أيدى الفنانين المهرة من بناء السفن فى مدينة بيبلوس الفينيقية (١) لأهدائها الى فرعون مصر سنوسرت الثالث ، اعترافا بأبادية البيضاء على مدينتهم .

فى العام السابق ، هز جبال فينيقية وسواحلها زلزال عنيف ، لحقت بيبلوس من جرائه أضرار كبيرة . ولما بلغ الخبر مسامع فرعون ، حزن لما حل بالمدينة العريقة ، التى كانت تربطها ببلاده روابط الصداقة والتعاون وتبادل السلع والمنتجات ، والتى كان فيها للربة ايزيس المصرية معبد وكهنة ، بجانب معابد عشتروت (٢) ربة فينيقية وحارسة سفنها فى رحلاتها البعيدة ومغامراتها الجريئة .

أراد سنوسرت الثالث أن يعبر لشعب بيبلوس عن شعوره نحوه فى تلك المحنة القاسية ، فأوفد الى المدينة المنكوبة بعثة من أخصائه ، على رأسها « تانهرى » مهندس القصور الملكية ، والخبير فى تخطيط المدن وأعمال التعمير

وصل الوفد الى بيبلوس فى ثلاث سفن محملة بالمؤن من كل صنف ، والأدوات من كل نوع ، وتمثال لايزيس ، ليحل فى حرم معبدها ، محل التمثال الذى قيل لفرعون أن الزلزال أسقطه عن قاعدته فتحطم ، وبعث ذلك الحادث التشاؤم فى النفوس .

قوبلت هدايا فرعون بالشكر والدعاء الطيب ، وقرر شعب بيبلوس أن يرد عليها بهدية لائقة بالعاقل العظيم ، يأخذها وفد من بيبلوس الى مصر ، بعد مرور سنة على اليوم الذى ألفت فيه السفن المصرية مراسيها فى الميناء

(١) بيبلوس : اسمها اليوم « جبيل » - ميناء صغير على ساحل لبنان ، ومن أقدم المدن فى العالم
(٢) عشتروت : تقابل عند قدماء اليونانيين « اسستارتى » أو « فينوس » ربة الجمال .

ولما انقضت السنة ، كانت الهدية مهياة جاهزة !

انها سفينة فينيقية من طراز خاص ، بنيت للقيام برحلات في
محاذاة الساحل ، وفي الانهار والجداول والقنوات .

صنعت كلها من خشب الارز — أرز لبنان الصلب المعطر — هيكلها،
وجوانبها ، وصواريها ، ومجاديفها ، ومقاعدھا ، وأدوات الزينة والطهو
فيها !

لم تخرج من مصانع السفن في ممالك فينيقية سفينة مثلها من قبل !
ولم تحمل سفينة من قبل ما حملته « سفينة فرعون » كما سماها أهل
بيلوس ، من آنية فاخرة ، وعطور فواحة ، وعيدان ذكية ، وبخور
ولبان ، مرسله الى معابد مصر وهيكلها ، ومن عصافير نادرة ، وصقور
ونسور ، وفواكه مجففة ، وجلود وفراء ، وحلى وجواهر ، مرسله الى
فرعون ، عربون وفاء وولاء !

كان معظم رسل سنوسرت قد عادوا الى وطنهم الواحد بعد الآخر،
وبقى بعضهم في بيلوس مع رئيسهم تانهري ، الذي تزوج فتاة من
بناتها ، الحسناء « تنيشام » ابنة صاحب مراكب الصيد « رحيرام »
فأضاف ذلك الزواج رابطة جديدة الى الروابط الكثيرة التي كانت قائمة
بين الأسر الفينيقية والأسر المصرية .

عول تانهري على العودة الى بلاده ، مع زوجته ومن بقي من رفاقه ،
في السفينة الفاخرة التي أعدها سكان المدينة هدية لفرعون ، واختاروا
حماء رحيرام ربانا لها .

خرج الكهنة والكاهنات من معابد عشتروت في مهرجان اشتركت
فيه بيلوس بأسرها ، وصعد كبيرهم الى ظهر السفينة ليباركها جريا
على العادة المتبعة عند الفينيقيين قبل كل رحلة بحرية . وأعلن انه
ورفاقه قرروا أن تسافر عليها فتاة من عذارى الهيكل ، لتكون صورة
مجسمة لبركة عشتروت في مياه مصر .

ولم تكن العذراء التي وقع عليها الاختيار غير الفتاة « سيكار »
أخت « تنيشام » زوجة « تانهري » المصري ، فتمت بذلك سعادة
الاسرة التي ظل شملها ملتثما في « سفينة فرعون »

وقبل قيام السفينة ، جاء دور العرافة لتستطلع الغيب وتقرأ
في صفحته ما كتب للراجلين الى بعيد .

« سوف تصلون بسلام الى أرض مصر . وسوف تبقى السفينة
مصونة من الأذى ، في مأمن من الرياح العاصفة ، والمياه الهائجة ،
والأقدار الفادرة ، ما دامت سيكار مقيمة فيها ، لا تغادرها الى البر ،
عذراء تعف عن الزواج . تقف نفسها لربتنا عشتروت ، تتوجه اليها
بالصلاة ، وتحرق لها البخور في أرض مصر ! »

وأقلعت سفينة فرعون بمن فيها . هدية تحمل حاملها، ورا...

تشق العباب ، والانغام والالحان والانشيد تملأ أرجاءها في الليل والنهار !

وصل الوافدون من بيلوس الى شاطئ مصر بسلام . ودخلت سفينتهم مصب النيل من أحد فروعه ، وواصلت سيرها بين الضفتين ، حيث كان الناس يرقبون مرورها هاتفين مرحبين ، ووجهتها عاصمة فرعون العظيمة .

كان سنوسرت الثالث في أوج مجده !

فالأسرة الثانية عشرة ، التي ينتمى اليها ذلك العاهل المصلح ، حققت لمصر مشروعات انشائية خلدت أسماء ملوكها على كر الدهور . ثمانية من الفراعنة ، كلهم رجال حرب وبناء ! .

في عهدهم الذي دام مائتي سنة فقط ، من ٢٠٠٠ الى ١٨٠٠ قبل الميلاد ، انتظمت الادارة ، وضبطت جباية الضرائب ، وازدهرت الصناعة والزراعة ، واستخرجت المعادن من مناجم مصر ، والحجارة الكريمة من سيناء ، واتسعت التجارة في الداخل والخارج ، وخضع الاقطاعيون للسلطة المركزية ، وانشئت المعابد ، ورفعت مسلة عين شمس ، وشيد هرم دهشور ، وشملت الملاحة نهر النيل وفروعه ، والبحرين الاحمر والمتوسط ، وغصت البلاد بالخيرات من كل نوع ، وبالسلع من كل بلد .

راى فرعون ان النقل بطريق البر بين سواحل البحرين ، يستغرق وقتا طويلا ، وجهودا شاقة ، ونفقات باهظة ، فقرر ان يصل بين البحر والبحر ، بقناة تمتد من فرع النيل الشرقى الى الخليج الذي ينتهى به البحر الاحمر ، داخل الارض المصرية .

قرر ونفذ في الحال !

كانت الترع في مصر السفلى تؤلف شبكة تتداخل مجاريها بعضها في بعض ، فتسهل على السفن الكبيرة والقوارب الصغيرة الانتقال من مكان الى مكان ، ومن مدينة الى مدينة ، على ضفاف النيل في طول الدلتا وعرضها .

فأضاف سنوسرت الثالث - ويغلب على الظن انه فرعون الذي تحدث عنه مؤرخو اليونان باسم سيزوستريس - قناة عميقة واسعة ، وصلت النيل بخليج البحر ، فتم بها الاتصال بين سواحل البحرين ، وتحققت أمنية فرعون !

وساعد ذلك على زيادة الرخاء ، فهلل الشعب ودعا للمصلح الكبير بالعمر الطويل ودوام العز والمجد .

ولما وصلت هدية شعب بيلوس ، أمر فرعون باعداد سلسلة من الرحلات للنزهة ، على طول مجرى النيل ، وفي فروعه وقنواته ، وأراد

قبل كل شيء أن يجتاز ضيوفه الفينيقيون ، بالسفينة التى سموها باسمه ، المسافة الفاصلة بين شاطئ البحر فى الشمال ، وشاطئ البحر فى الشرق ، بدون أن يضطروا الى النزول من سفينتهم ، التى سلكت للمرة الاولى الطريق المائى المحفور وسط الرمال ، والذى سماه فرعون « قناة البحرين » .

عاد رحيرام أنى بلاده ، وقص على مواطنيه ما شاهده فى مصر من منشآت عمرانية مذهشة .

واستأنف تانهرى عمله فى القصور الملكية ، ومعه زوجته الفينيقية تنيشام ، التى ذاعت فى وطنها الثانى سعادة كانت لها عزاء على هجرها وطنها الاول .

وبقيت سيكار ، الكاهنة العذراء ، على ظهر سفينة فرعون ، عملا بإرادة الآلهة التى نطقت بها العرافة فى بيبلوس ، والتى خضع لها سنوسرت لما أطلعه تانهرى ورفاقه عليها .

أمر الملك بأن تحاط الفتاة الغريبة بالاكرام وأن تظل مصونة من الأذى . وأوصى بها الربان الذى اختاره من المقربين اليه ، ليحل محل رحيرام الفينيقى ، والد العذراء سيكار ، وقال له : « كن لها أبا ، وأخا ، وحارسا أميناً ! »



توالى الايام ، وتتابعت الرحلات ، ومرت الشهور والاعوام ، وفرعون ساهر على سلامة مملكته ، عامل لاسعاد شعبها ، يختلس من وقته الثمين أياما معدودة ليأخذ نصيبه من الراحة .

كان يستخدم دائما فى تنقلاته داخل البلاد ، وبين شواطئها ، وفى أطرافها ، تلك السفينة التى جاءته هدية من قوم عرفوا له فضله وأقروا بجميله .

ولم يفتن الى أن مأساة عاطفية تدور فصولها على ظهر السفينة ، وتسبب شقاء شخصين فى ريعان الشباب !

فقد توثقت اللفة بين الربان المصرى الذى عهد اليه فرعون بقيادة سفينته ، والفتاة الفينيقية التى قضت ارادة الآلهة بأن تبقى عذراء ، ولا تلمس الأرض بقدميها !

نشأت المحبة بعد اللفة ، وتحولت المحبة الى حب . وانقلب الحب غراما جارفا ، ولكن الفتاة أبت أن تخون العهد الذى قطعته على نفسها ، يوم رضيت بأن تصعد الى ظهر السفينة ولا تغادرها ، وألا يكون لها طول حياتها علاقة برجل !

واحترم الشساب تمسك الفتاة بعهدا . فقاسى من حبه المكظوم عذابا أدمى فؤاده ، وانتابه أرق دائم هدى كيانه وأفقد جسمه القوة اللازمة لمواصلة القيام بعمله ، وأداء مهمته .

وزاد في عذابه ما كان يراه من مظاهر الضعف واليأس عند الحبيبة
العزيزة . فقد ذبلت نضارة وجهها ، وغارت عيناها ، وتمتدت ذات يوم
على مسمع من الحبيب الغالي ، أنها أصبحت تؤثر الموت على الحياة ،
اذ لم يعد في وسعها أن تقاوم العاطفة الجياشة في صدرها ، ولا تستطيع
من ناحية أخرى أن تخون العهد وتخالف ارادة عشروت !

عرف الشاب والفتاة كيف يكون شقاء المحبين ، اذا لم يكلل الحب
بالوصال !

وفي يوم من أيام الربيع ، تلقى الشاب من فرعون أمرا بأن يعد
السفينة لرحلة جديدة ، خلال القناة الكبيرة ، الى ساحل الخليج .

فأعد الربان العدة لتلبية أمر فرعون ! ولكن خبرا محزنا كان
ينتظر سنوسرت ، عند مرفأ السفن في نهر النيل .

في ذلك اليوم ، وجدت سيكار ، الفينيقية العذراء ، ميتة في
فراشها ، وعلى فمها ابتسامة جميلة كأنها تستقبل الموت بالرضا
والارتياح !

وفي ذلك اليوم ، عرف فرعون قصة الفرام التي جمعت بين
قلبين !

فقد روى له الشاب العاشق ما حدث بينه وبين كاهنة عشروت
فأدرك فرعون أن الفتاة ماتت من الحزن والأسى .

فنفرت دمة من عينه !

ثم خاطب رجال حاشيته ، وبحارة السفينة ، قائلا :

— علينا أن نحترم ارادة الآلهة كما احترمتها هذه العذراء
المسكينة ... ليس في وسعنا أن ننقلها الى البر لدفنها في أرض مصر
التي أحببتها ... فالسفينة في هذه الحالة قد تتعرض للهلاك ، تحقيقا
لتكهن العرافة ، التي قالت ان السفينة ستبقى مصونة من الأذى ،
مادامت سيكار مقيمة فيها !

تطلع السامعون بعضهم الى بعض ، متسائلين ماذا يريد فرعون
أن يصنع ؟

واستطرد سنوسرت قائلا :

— لن تمخر بنا هذه السفينة بعد اليوم عباب النهر أو البحر ...
امضوا بها في القناة الكبيرة الى عرض الخليج ، وهناك ، افتحوا ثغرة في
جنبها ، واهجروها ، ودعوها تفرق وبها العذراء الفينيقية في كفنها !
غنى خير ضريح لها !

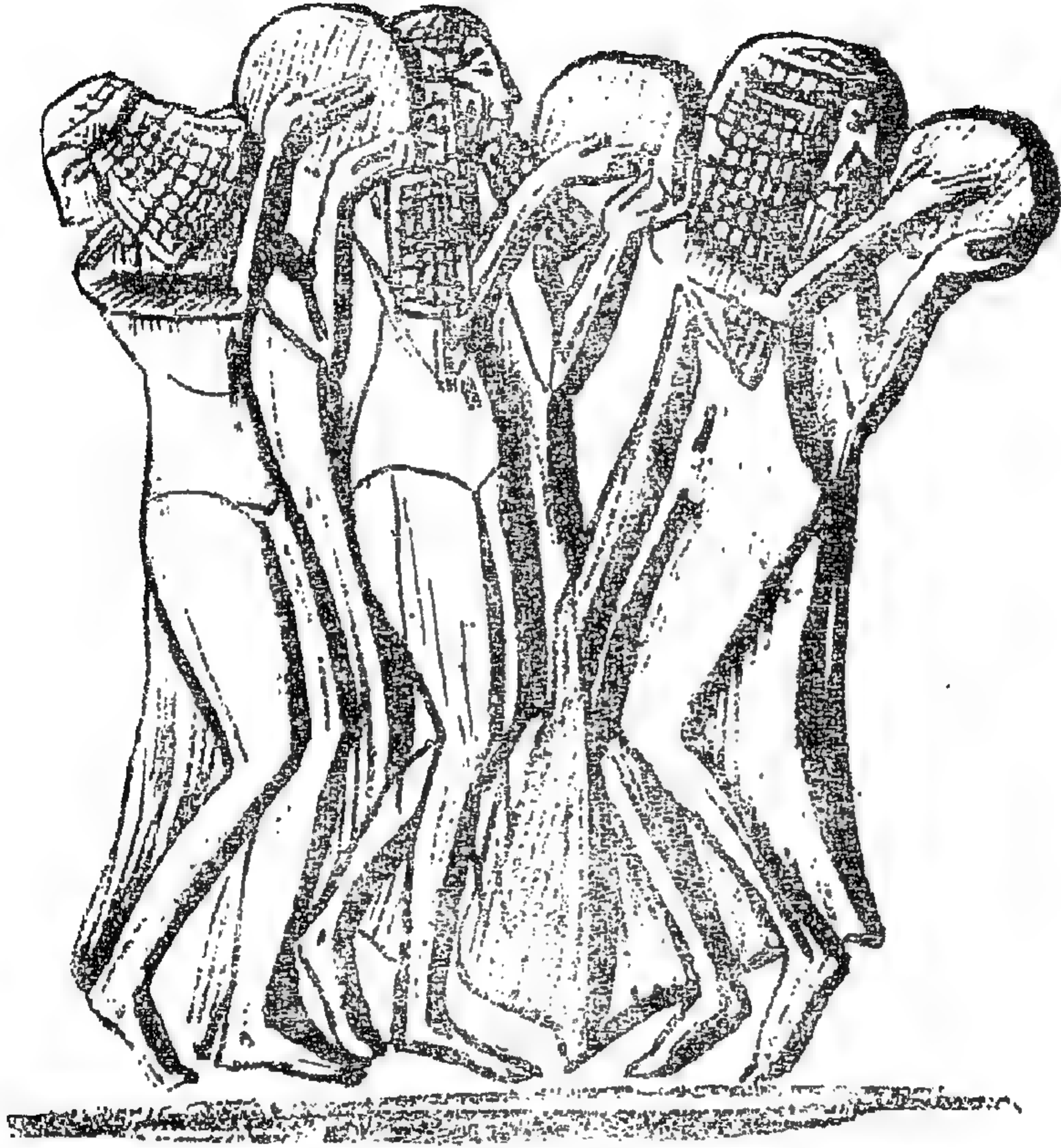
أغرقت « سفينة فرعون » فى مياه الخليج ، وبقيت فيها جثتان !
فقد حمل رجالها الخبر الى سنوسرت الثالث فى قصره فتضاعف
حزنه ، ونفرت فى هذه المرة من عينيه دمعان !

لما فتح البحار ثغرة فى جنب السفينة ، وتنادوا للنزول منها ،
وتركها تفرق تنفيذا لأمر فرعون ، رفض الربان العاشق أن يلحق بهم ،
وأبى إلا أن يظل ملازما لجثمان حبيبته ، فيرحل معها الى العالم
الآخر !

وغارت سفينة فرعون فى اليم ، تضم فى أحضانها العاشقة الميتة ،
والعاشق الحى !

رسول فرعون

في عهد تحوتمس الاول ، بدأ المصريون يعنون
بتربية الخيول العربية الأصيلة ، وأنشأوا
كتائب الفرسان في الجيش . . . !



وجاءوا لفرعون بأربع الراقصات

أحاط رجال الدولة بفرعون الكئيب الحزين ، وحاولوا عبثا تهدئة
خاطره وادخال السرور على نفسه ، وجاءوا بأبرع الراقصات وأجمل
النساء وأمهر العازفين على آلات الطرب ، وأشهر المغنين في « طيبة »
وأقاموا في العاصمة المصرية الافراح والليالي الملاح . ولكن ذلك لم
يخفف من حزن فرعون وكآبته ، ولم يجد منفذا الى صدره المنقبض .

— كرتيميس ! .. كرتيميس !

تلك هي الكلمة التي كانت ترددها شفتاه في صحوه ومنامه ، في
روحاته وغدواته ، في داخل قصره بطيبة أو في الحدائق الغناء على
ضفاف النيل المبارك .

— كرتيميس ! .. كرتيميس !

أحرزت الجيوش المصرية انتصارات باهرة في الميادين ، ولكن تلك
الانتصارات لم تكن كافية لمحو ذلك الاسم من ذهن فرعون .

وامتدت حدود مصر الى مسافات شاسعة شرقا وغربا وجنوبا .
وخضعت لها الممالك الآسيوية والافريقية . ولكن تلك الفتوح لم تكن
كافية لتعزية فرعون عن فقد من يحب .

— كرتيميس ! .. كرتيميس !

طبع ذلك الاسم — بل نقش نقشا — في قلب العاهل الفاتح ، ولكن
فرعون العظيم القدير ، الذي استطاع أن يحتفظ بملكه المترامي
الاطراف ، ويبسط سلطانه على أرباب التيجان في العالم المعروف في ذلك
الوقت ، عجز عن الاحتفاظ بامرأة أحبها وأخضع قلبه لمشيئتها .

فقد هربت المحبوبة المعبودة من القصر في ليلة مظلمة ، وآثرت
العودة الى أهلها في البلاد التي « ما بين النهرين » (١) حيث تشرق
الشمس وتهب الرياح العاصفة — على البقاء في ديار الغربة وفي قصر
فرعون !

وطار قلب تحوتمس الاول شعاعا ، وجن جنونه ، وتولاه القلق
والياس ، وحل الاضطراب في حياته محل الراحة والهناء .

وراح يبحث عن المحبوبة الهاربة ، ويردد في كل آن ومكان اسمها
العذب :

— كرتيميس ! .. كرتيميس !

أعاد « أحمس » الى مصر استقلالها والى الاسرة المصرية المالكة

(١) هي اليوم العراق .

تاجها ، بعد أن تم له النصر وطرده « الهكسوس » الرعاة من وادي النيل ، ومات ذلك الملك المنصور تاركاً لخلفائه دولة قوية منيعة الجانب .

وجلس على عرش مصر بعده امنوفيس الاول ، فسار في الطريق الذي خطه سلفه ، وعزز الملك بفتوح جديدة ومشروعات عمرانية جليلة ، ومات في سنة ١٥٤٠ قبل الميلاد فبكته الرعية ، واقسم خلفه تحوتمس الاول « أن يتم ما بدأ به ذلك الملك العادل الصالح .

وتولى تحوتمس الملك من سنة ١٥٤٠ الى سنة ١٥١٥ قبل الميلاد فبلغت مصر في عهده أوج العلا ، وحرقت البخور في الهياكل تكريماً له ، ورفعته الى مصاف الآلهة فعبدت « ابن توت » وأجلسته على عرش القلوب بعد أن أجلسه على عرش الملك .

وحدث في أثناء غزوة قام بها الجيش المصري الظافر في اقاصي الشرق ، على ضفاف الفرات ، أن ساق الفزاة الفاتحون أمامهم طائفة من الأسرى والعبيد والسبايا ، حاملين أبداع ماحوته تلك البلاد من نفائس .

وجاء قواد الجيش الى فرعون بفتاة تحاكي البدر بهاء ونورا ، وعود الخيزران ثنيا وامتشاقا ، والطبى دلالة ونفورا . وهى ابنة أمير من أمراء البادية ، نازل المصريين فى الميادين ، وحاربهم محاربة الأبطال وابنته الى جانبه ، تشد أزره وتضرم فى صدره نار الحماسة ، وتحرضه على القتال ، الى أن سقط الأب صريعاً فى حومة الوغى ، ووقعت الابنة اسيرة فى أيدي الغالبين المنتصرين !

وقال قائدهم :

— ستكون هذه الغانية هديتنا الى فرعون !

وتقبل تحوتمس الهدية ، وحلت الفتاة فى قصر الملك ، واقامت بين النساء معززة مكرمة ، وما لبث فرعون أن جعلها رئيسة عليهن جميعاً ، تأمر فتخضع لأوامرها الراقصات والخادومات والاماء وحاملات العطور والرياحين .

ولكن « كرتميس » لم تكن سعيدة ولم تكن راضية بتلك الحياة الجديدة . وعندما أرسل تحوتمس فى طلبها ، وكاشفها بحبه ، وأفضى اليها بما أثارته فى نفسه من غرام ، لم يعد قادراً على كبح جماحه ، ألقت الفتاة بنفسها على قدميه ، وقالت والدموع تنهمر من عينيها النجلاوين :

— اذا كنت أيها المولى القدير تحببني حقيقة ، وتكن لى فى صدرك ماتبوح به الآن من شعور قوى ، فأثبت لى ذلك بالبرهان الساطع والدليل المحسوس ، وأعد الى حريتي ، وأطلق سراحي ، ودعنى اذهب الى حيث نشأت وترعرعت فى جوف الصحراء المحرقة ، وسط الرمال التى لا نهاية لها ، حيث لقي آبائى وأجدادى حتفهم فى الحروب ، وحيث أريد أن أقضى حياتى واموت !

لكن فرعون لم يجبها الى طلبها ، وجعل يمنيها بطيب الآمال وحلو

الامانى ، قائلا : انها ستعيش فى القصر محسوبة بالاجلال والمحبة
والاكرام ، لا فرق بينها وبين الملكة المتوجة ، وان بقاءها فى طيبة يضمن
لها ولفرعون السعادة والهناء فى مستقبل الايام !

وحاولت كرتميس فيما بعد غير مرة ان تحمل فرعون على اخلاء
سبيلها واعادتها الى بلادها وعشيرتها ، ولكنها كانت فى كل مرة تلاقى منه
اعراضا ورفضاً ، فعولت على الهرب من القصر .

وحققت بغيتها بمساعدة من تمكنت من اغرائه بالمال من الحراس ،
وتفقدتها تحوتمس ذات يوم فلم يجدها ...

وانقلب فرعون منذ ذلك الوقت من حال الى حال . وساورته
الهواجس والهموم ، وراح يردد اسم الحسناء الشاردة :

— كرتميس ! كرتميس ! كرتميس ! ثم احضر القائد لديه وقال :

— اريد ان تجتاح البلاد ، وتخضع سكانها ، وتفرض عليهم الجزية ،
وتسوق الاشداء منهم الى الاسر ، وتنزل العقاب الصارم بكل من يخيل
اليك ان له علما بمقر كرتميس ، ويتذرع بالنكران . اسامع انت ؟

فرجع القائد امام فرعون واجاب :

— سامع يا مولاي !

— اذهب ! وليزحف الجيش منذ الليلة الى الشرق !

وفى المساء ، غادرت الجحافل المصرية ضواحي طيبة حيث ظلت
تحتشد بضعة اسابيع .

سار جيش الى الشمال فالشرق لفزو بلاد الاشوريين والبابليين
والفرس .

وسار جيش الى الجنوب لفزو بلاد كوش — المسماة الآن
« اثيوبيا » او « الحبشة » .

وامر فرعون بان تنصب على شرفة قصره العليا خيمة ارجوانية ،
ويوضع فيها سرير الملك ، لكى يشرف على الطرق المتشعبة من طيبة
الى اطراف المملكة ، واقسم ان يظل مقيماً فى تلك الخيمة الى ان يحمل
اليه الرسل خبرا سارا عن كرتميس !

وأوفد مع الجيش الزاحف شمالا وشرقا مائة رسول من عبيد
القصر المشهورين بسرعة الجرى وقطع المسافات البعيدة بلا عناء .
وعهد الى قيادة الجيش فى ان تعيد الى طيبة رسولا واحدا كل يومين
او ثلاثة ، حاملا الى القصر آخر الاخبار .

ودار القمر دورته مرة بعد مرة ، ولم يحمل الرسل الى فرعون
غير انباء الانتصارات المتوالية التى احرزها جيشه فى ميادين القتال .

ولم يكن هذا ما يتوق اليه تحوتمس ، بل كان يرغب قبل كل شيء
في معرفة ما تم من أمر كرتيميس ، وهل تمكن قواد جيشه من العثور
عليها وهل هي عائدة الى العصر أو لا ؟

وفد الرسل الواحد بعد الآخر ، وكان فرعون كلما جىء اليه
يرسل قادم من الشرق يبادره سائلا :

— ما وراءك من أخبار ؟

فيجيب الرسول :

— انتصر جيشك يا فرعون !

ولكن تحوتمس كان يقاطعه قائلا :

— أليس وراءك غير أخبار الحرب والقتال ؟

— نعم يا مولاي !

— اذهب اذن !

وبعد أن وفد على طيبة ثلاثون رسولا لا يحملون غير أنبياء
الانتصارات ، صاح فرعون في غيظ وحنق :

— ليس هذا ما أود معرفته ! ليس هذا ما أتوق اليه ! كرتيميس !
كرتيميس ! أريد أن أعلم ماذا حل بكرتيميس . ولن ينزل الرسول بعد
اليوم حيا من هذا المكان ان كان لا يحمل الى أخبارا عن كرتيميس !

فارتجف رجال القصر من الخوف . وأسرع الكهنة الى الآلهة
يتوسلون ويضرعون اليها بأن تحقق رغبة فرعون وتنقذ حياة الرسل
المساكين !

وبعد عشرة أيام وفد رسول جديد ، ومثل بين يدي تحوتمس
الاول ، فوجده وحيدا في خيمته . وقد وضع أمام وسادته سيفا
مسلولا ...

وصاح فرعون :

— أمعك خبر عن كرتيميس ؟

— كلا يا مولاي !

— خذ اذن !

ومزق السيف صدر المسكين واسكت دقات قلبه ، فخر على
الارض جثة هامدة !

واستلقى فرعون على سريره وهو يرتجف من الغضب ...
وشاءت الاقدار ان يفد على القصر في ذلك اليوم أربعة من الرسل ؛
قتلهم فرعون الواحد بعد الآخر لانهم لم يحملوا اليه الخبر السار الذي
كان ينتظره ...

وانقضت عشرون يوما لم يفد فيها على طيبة رسول آخر من
الجيش المحاربة ...

وقلق فرعون واضطرب ، وخشى أن تكون هناك كارثة قد حلت
بجنوده ، فهجر الرقاد جفونه ، وواصل الليل بالنهار على الشرفة ،
وعيناه شاخصتان الى الطريق ، رافضا ما كان يحمله اليه العبيد من
طعام وتأتيه به الاماء من شراب وعطور ...

وفجأة ، في منتصف الليل ، استيقظ تحوتمس على ضوضاء
منبعثة من سلم الشرفة وسمع صوتا قويا يصيح قائلا :

— لن يقف حارس في وجهي ، فلا بد من الوصول الى فرعون لاننى
أحمل أخبارا يجب أن تبلغه في الحال !

وصاح تحوتمس من ناحيته :

— على بالرجل !

واندفع الى الشرفة شاب فى العقد الثالث من العمر ، قوى البنية
مفتول الساعدين اسود البشرة ، وانطرح على الارض أمام فرعون قائلا:

— انى اعلم يامولاى ماينتظره الرسول الذى لا يحمل اليك خبرا
عن الفتاة كرتيمس ! وانى أحمل اليك ذلك الخبر . غير انه خبر ليس
فيه ما يسر !

— أفصح ... أفصح ...

— ان كرتيمس يا فرعون قد انتقلت الى عالم غير هذا العالم .

— ماتت ؟

— ماتت منتحرة بعد أن انتزعناها من ديار أهلها ومن بين
عشيرتها ...

— كيف حدث ذلك ؟

— خرج الينا القوم من بطن الصحراء وكانت كرتيمس نفسها
تقودهم وتحثهم على القتال . ولكننا صمدنا لهم ، ودفعنا هجومهم ،
ثم تغلبنا عليهم شيئا فشيئا حتى هزمناهم هزيمة منكرة ، وفتكنا بهم
فتكا ذريعا . وما انتهى ذلك اليوم المشهود حتى كانت أشلاؤهم تملأ
السهل ، ومواشيهم شاردة فيه . وقد وقع في الأسر كثيرون منهم بينهم
كرتيمس ، التى جرحنا فى المعركة .

وبعد ؟

— أقمنا حولها الحراس وضممنا جرحها وأحطناها بكل عناية .
ولكنها يامولاى اغتنمت فرصة الظلام الحالكة وخنقت نفسها بشعرها
الطويل المسترسل على كتفيها !

— ويحكم ! أما فكرتم في حراستها ليلا كما فكرتم في حراستها نهارا ؟ .

— لم يعتقد أحد منا يا مولاي انها ستقدم على ذلك العمل الجنونى !

— انك تستحق الموت كسواك من الرسل الذين سبقوك . ولكنى سأبقى عليك وأحتفظ بك الى ما بعد عودة الجيش ...

— لدى خبر آخر يا فرعون !

— تكلم ...

— ان الجيش العائد من الصحراء الشرقية ، يسوق امامه أسرابا من « الخيول » العربية ...

— آه .. الخيول .. التى يستخدمها أعداؤنا فى السفر والحرب ، قيمتونها ويروضونها ويدربونها على الجرى والقتال . لقد أحسنتم صنعا . وهذا الخبر يحملنى على العفو عنك . اذهب فأنت حر طليق !

خرج الرسول ، ونظر فرعون حوآليه . وعندما أيقن أنه وحيد على شرفة القصر ، وأن لا أحد يراه ، أمسك رأسه بيديه ، وتفجرت الدموع من عينيه ، وبكى بكاء مرا ، على حين كانت شفتاه ترددان الاسم المحبوب :

— كرتيميس ! .. كرتيميس !

رجع الجيش الفاتح من أرض بابل وآشور وفارس ، يسوق امامه آلاف من الأسرى والسبايا ، وقطعانا من الخيول المطهمة والافراس الاصيله ، واثقالا لا يحصى لها عدد ووزن من أسلاب المراك وتحف القصور .

وأصغى تحوتيمس بامعان الى ما قصه قواد جيشه من أمر كرتيميس ، وكيف آثرت الانتحار على العودة الى الاسر ، وقال بعد ان اطلع على نتيجة تلك الحملة الموفقة التى قام بها جيشه الباسل على الدول المجاورة :

— لقد أحرزتم فى المراك نصرا انسانى ماعداه من أمور . وأحرز الجيش فى الجنوب نصرا آخر يسطر سلطان فرعون على بلاد كوش . وفرعون فخور بجنده وقواده . وقد عجزتم عن اعادة امرأة هاربة الى القصر الذى هربت منه ، ولكنكم أتيتم بعامل جديد من عوامل النصر فى الايام المقبلة . أتيتم بالحيوان الذى يعد خير صديق للرجل بين ذوات القوائم الاربع . فان الهكسوس قد جاءوا ببعض الخيول من الشرق ، ولكنهم لم يعتنوا بتربيتها فى وادى النيل ، أما الآن ، فاننا سننشئ لها المرباط ونهينى لها المراعى الخصبة ، ونخصص لها من أبناء مصر من

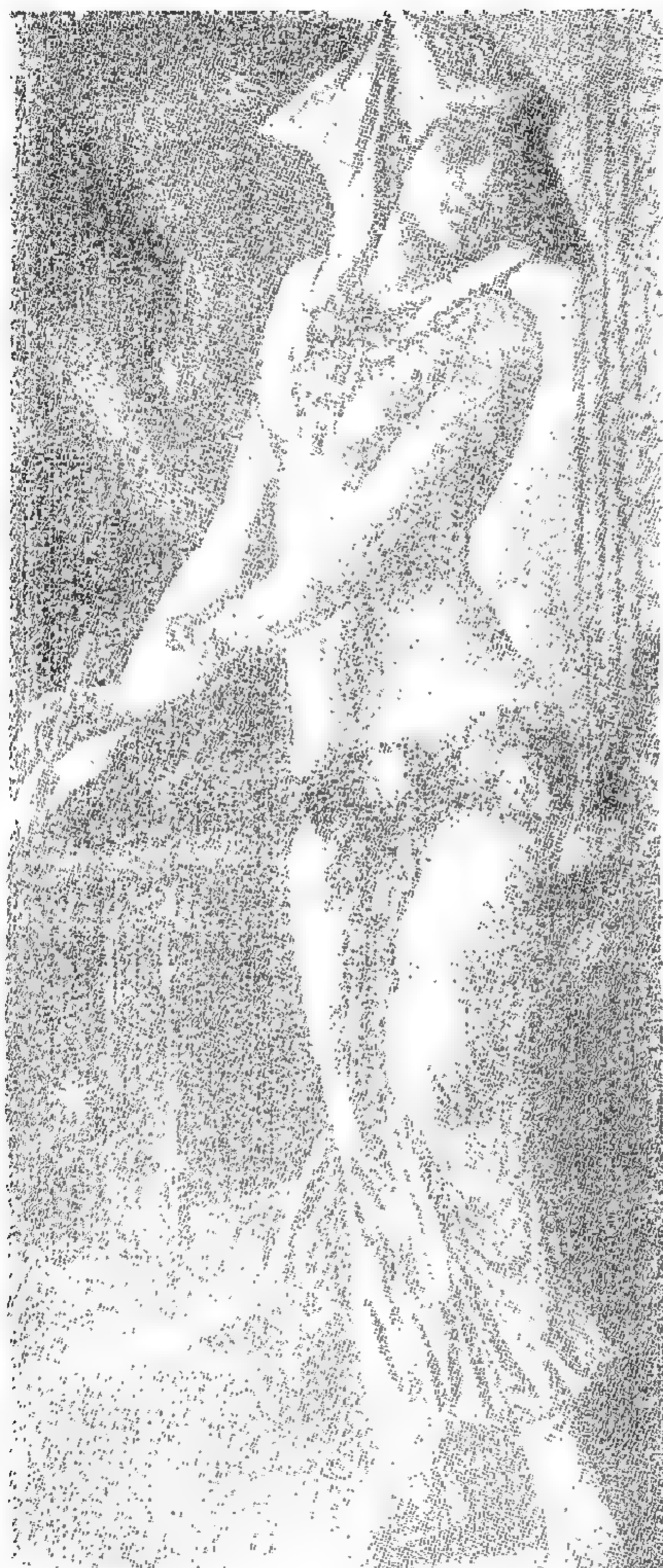
يتولى تربيتها وتحسين نسلها . وسوف يستخدم ملوك مصر في المستقبل تلك الخيول والافراس لعظمة مصر وبسط سلطان فرعون على الشعوب الاخرى .

وبعث تحوتمس في طلب الرسول الذي حمل اليه خبر موت كرتيمس وجلب الخيول الى مصر ، فأنعم عليه وكافاه ، واختاره رسولا خاصا له ، وعرف الرجل منذ ذلك الوقت باسم « رسول فرعون » . ونسى تحوتمس الفتاة كرتيمس ، كان ذكرها قد ذاب على حرارة الدموع التي تساقطت من عينيه في تلك الليلة !

وانصرف المصريون منذ ذلك الوقت الى العناية بتربية الخيول ، وما مرت سنوات معدودة حتى كان عددها قد تضاعف في وادي النيل، وأنشأ فرعون في جيشه فرقا من الفرسان الذين عاد اليهم الفضل في فتح الاقطار واخضاع الامصار ...

الجميلة أثرت

وقصت الصبية الرشيدة أمام فرعون
فقرر أن يتزوجها ...



راقصة من بنات الاشراف في قصر فرعون

بدأ قصر فرعون في ذلك اليوم البهيج في رحلة من الزينة تبهر
الابصار ، وتأخذ بالألباب ، وخرج الشعب الى الشوارع والبيادين
واحاط بالقصر الملكى ينظر الى الحراس الكثيرين ، وقد تفرقوا على
الإبواب . ويصفى من بعيد الى اللجان العذبة والانعام الشجية المتصاعدة
من وراء الجدران العالية ، وينشر الازهار ويلوح بالرياحين كلما اخترق
صفوفه كاهن من الكهنة ، أو عظيم من العظماء ، أو قائد من القواد ،
في طريقه الى المقر الملكى ، حيث اقام فرعون حفلة سمر وطرب ، دعى
اليها رجال مملكته الامناء ، واصحاب الراى التافد فيها .

وتربع امنحوتب الرابع في سريره الذهبى المزصع بالخجارة
الكريمة . واحاط به المدعون احاطة السوار بالمعصم ، على حين أن الثغنين
يطربون الملك باناشيدهم الجميلة ، طالبين من آدون أن يطيل ملكه ويزيده
مجدا على مجد وجاها على جاه .

وجلس بجانب الملك امه النبيلة الذكية المسنوعة الكلمة ، الملكة
« تى » زوجة امنحوتب الثالث العظيم ، القوى الشجاع ، الذى لم
يطلق في حياته من القوس سهمًا طائشا ، والذى روع الجيوش في
الميادين والسباع في الغابات ، فدون اسمه في التاريخ كأمر صناد عرفه
الناس ، وقتل في الصحارى والادغال والهضاب مائة واثني عشر أسدا
في عشر سنوات ، فضلا عن الدئاب والفهود والثغالب والصقور !

وكان ابنه امنحوتب الرابع يعطى النفس بالسر على منهاج ابيه في
تدوين الممالك واخضاع الشعوب ، ولكن بطريقة غير التى عمد اليها
ابوه ، وبسلاح غير الذى كان فرعون العظيم يشهره في وجه اعدائه

كان امنحوتب الثالث يخضع اعداءه بنصال السيوف واسنة
الرماح وسهام الاقواس . أما امنحوتب الرابع ، فقد فكر في اخضاعها
بدين جديد وعقائد مبتكرة تقوم على انقاض الدين القديم والعقائد
البالية .

وهو الذى قوض سلطة الكهنة فيما بعد وهجر معابد آمون ،
واقام لاتون معابد جديدة ، فحمل منذ ذلك الوقت اسم اخناتون بدلا
من امنحوتب .

أما تلك الحفلة التى كان يحييها ، والتى دعا اليها رجال البارزين
في مملكته ، فقد أعدها لاستقبال رسول دشراته ، أحد ملوك سورية .

أرادت الملكة تى ، أم الملك امنحوتب ، أن يتخذ ابنها زوجة له من
بنات الملوك التابعين له الخاضعين لتاجه ، وكانت ترمى بذلك الى ضمان
خضوع تلك الشعوب البعيدة ، التى كانت كلما سنحت لها الفرصة
تشق عصا الطاعة على فرعون وتمسك عن دفع الجزية .

وكان للملك دشراته ابنة فاتنة الحسن ذاع صيتها في الاقطار شرقا وغربا ، فأرادت الملكة أن يتزوج ابنها تلك الفتاة الجميلة ، وبعثت الى الملك دشراته تنبئه بذلك ، فأجابها الى طلبها ، وأوفد رسوله الى فرعون يحمل اليه الهدايا ويقطع له عهدا باسم سيده دشراته بأن تكون ابنته « تادوو » زوجة لامنحوتب وملكة على مصر .

أفضى الرسول الى فرعون بمضمون رسالته ، ووضع بين يديه الهديا التي عهد اليه سيده في حملها الى مصر ، فتقبلها اامنحوتب مبتسما شاكرا ، وأمر حجابيه بأن ينزلوا الرسول وصحبه ضيوفا مكرمين في قصره ، ودعا الرجل الى أخذ مكانه بين الحاضرين ، وأشار الى رئيس التشريفات بادخال الراقصات .

فدخلن ، وكن عشرا تليهن عشرات فحشرات .. وجعلن يعرضن على الملك وحاشيته وضيوفه آخر ما وصل اليه فن الرقص في ذلك الوقت من سحر وابداع . ثم خرجن الواحدة بعد الاخرى ، وبقيت منهن راقصة أرادت أن ترقص أمام الملك بمفردها ، بعد أن كانت تشرف على زميلاتها ، وتدير حركاتهن ، وتقضى بدخولهن وانصرافهن من حضرة فرعون .

وبينما انظار جميع من حضروا ذلك المجلس متجهة الى تلك الراقصة البارة الجميلة ، وقد أخذوا بحسنها وخفتها ومهارتها ، اشار فرعون الى أحد حجابيه الامناء ، فاقرب الحاجب من العرش ، وهمس اامنحوتب في أذنه :

— جئني بهذه الراقصة بعد انصراف المدعوين !

مثلت الراقصة بين يدي فرعون ، خائفة مرتعدة ، ظنا منها ان الملك غاضب عليها وان رقصها ورقص زميلاتها لم ينل حظوة في عينيه .

ولكن الملك كان يبتسم ، وجعل يخاطبها بلهجة اعادت الطمأنينة الى نفسها المضطربة ، فأدركت أن مخاوفها لم تكن في محلها ، وأن فرعون العظيم لم يبعث في طلبها الا لانه يريد بها خيرا .

وسألها ببشاشة ولطف :

— لم أرك قبل الآن بين الراقصات في القصر . هل قضيت زمنا طويلا هنا ؟

— قضيت بضعة أشهر يا مولاي

— اتحبين الرقص ؟

— أحبه الى حد الجنون . وقد رغبت فيه ومارسته بالرغم من ان البيئة التي انتمى اليها لا يسمح فيها للبنات بمزاولة هذا الفن الجميل .

— أنت اذن من الاشراف ؟

— نعم يا مولاي

— ما اسمك ؟

— نفرتيتى

— نفرتيتى ! اسم جميل يرن فى الاذن رنة طرب ، كانه نغم قيثارة
تضرب اوتارها انامل الحسان .

سكتت الفتاة ولم تنبس ، وحاولت ان تحول نظرها عن نظر
فرعون . لكن امنحوتب نهض من مكانه ، واخذ رأسها بين يديه ، وحدق
اليها البصر ، وقال بلهجة حارة :

— نفرتيتى ، ستتوجين ملكة على مصر !

فاكبت الفتاة تقبل يدي فرعون العظيم وهى تضحك وتبكي فى
وقت واحد ، وقد اوشكت تلك الكلمات التى تساقطت من فم الملك ان
تفقدوها الرشد والادراك ، وجعل امنحوتب يداعب جدائل شعرها الناعم
بين انامله ، ويقول مرددا :

— ستتوجين ملكة على مصر ، فاذهبى ، وتطيبى ، وانتظرى ما
يحملة اليك الفد من مسرات وسعادة ومجد وهناء ! ستتوجين ملكة على
مصر ! ستتوجين ملكة على مصر !

هى ابنة « عاى » الحسيب النسيب ، من كبار النبلاء فى حاشية
فرعون ، والحائز على رضا ، وصاحب الشهرة الواسعة بين رجال
الجيش . ولم يسمح عاى لابنته نفرتيتى بان تمارس الرقص الا على
شرط ان يكون ذلك فى قصر فرعون وبصحبة رفيقات لها من بنات
النبلاء والاشراف .

وبرعت نفرتيتى فى الفن الذى عشقته الى حد بعيد ، فبايعتها
زميلاتا بالزعامة ، وتولت الاشراف على حلقات الرقص ، بموافقة الملكة
تى وتحت رعايتها .

ولكن الملكة لم تكن لتتصور ، فى أية حال ان يقع ابنها الشاب فى
غرام الفتاة ابنة النبيل المصرى ، وهو يراها ترقص أمامه ، وان ذلك
الغرام المفاجىء سوف يفسد عليها مشروع الزواج الذى اعدته لامنحوتب ،
وهو ان تستقدم له زوجته الاولى من بلد آسيوى . وقد وقع اختيارها
على الحسناء « تادوو » ابنة دشراته الملك السورى .

حاولت الملكة تى ان تشى وحيدها عن عزمه ، وان تحمله على
احترام العهد الذى قطعته باسمه للملك دشراته ، وان تقنعه بان زواجه
من فتاة أخرى غير تادوو ، قد يجر عليه مصاعب ومشكلات هو فى غنى
عنها ، وان رئيس الكهنة لن يرضى بذلك الزواج ، وان المستقبل سيكون
مثقلا بالحوادث الجسام اذا ظل الملك الشاب على رايه . لكن امنحوتب

أبى إلا أن ينفذ ما عزم عليه . وكان يجيب على نصائح أمه بهذه الكلمات
يردها بلا انقطاع ، وقد أخذ بجمال الصبية الراقصة :
- ستتوج نفرتيتى ملكة على مصر !

لم يمتض شهر واحد على ذلك اليوم الذى وقع فيه نظر الملك على
نفرتيتى للمرة الاولى ، حتى وصل الى طيبة موكب فخم ، يتقدمه الجنود
حاملين الرماح والاقواس ، ويحيط به من كل جانب العبيد والخدم حاملين
الهدايا والعطور ، ويتوسطه هودج من الذهب الخالص ، قائم على مركبة
تجرها الجياد ، وقد تربعت فيه ، على وسائد حمراء مزخرفة بالخيوط
الذهبية ، فتاة تحاكي البدر بهاء ..

ذلك هو الموكب الذى سيره الملك دشراته الى طيبة ، وتلك هى ابنة
الملك تادوو التى أعدها أبوها زوجة لفرعون ، والتى أعرض عنها أمنحوتب
وفضل عليها الراقصة ابنة النبيل عاي ..

أمر فرعون بأن يكون استقبال ابنة الملك السورى بالغاً منتهى الحفاوة ،
وأن تحل ومن معها فى القصر الملكى فى جناح خاص . ولكنه أبى أن يراها
وأن ينفذ ما جاءت الفتاة لاجله من عند أبيها ..

مر أسبوع وتلاه أسبوع آخر ومرت أسابيع فشهور ، والملك باق على
عزمه ، مصر على ما أبداه لأمه ، دون أن يؤثر فيه الحاح الكهنة أو ينال
منه تهديدهم ..

واضطرت الملكة تى أن تعيد الفتاة الى أبيها الملك دشراته ، مع رسول
يقول ان فرعون مريض وان مرضه يحول دون زواجه !

وفى الوقت الذى كان الرسول يفضى برسالته الى الملك دشراته ،
محاولاً اقناعه بأن أمنحوتب لن يقدم على زواج ولن يتخذ له امرأة ، كان
القصر الملكى فى طيبة يشهد حفلة زفاف بسيطة لا تتفق مع عظمة التاج

وفى تلك الساعة التى كانت فيها الاميرة تادوو تنتحب بين يدي
أبيها ، وتشكو اليه ما حل بها فى مصر من خيبة أمل ، وما آل اليه حظها ،
كانت نفرتيتى - ومعنى هذا الاسم « الجميلة أتت » - تضع على رأسها تاج
الملك الذى وعدها به فرعون الشاب !

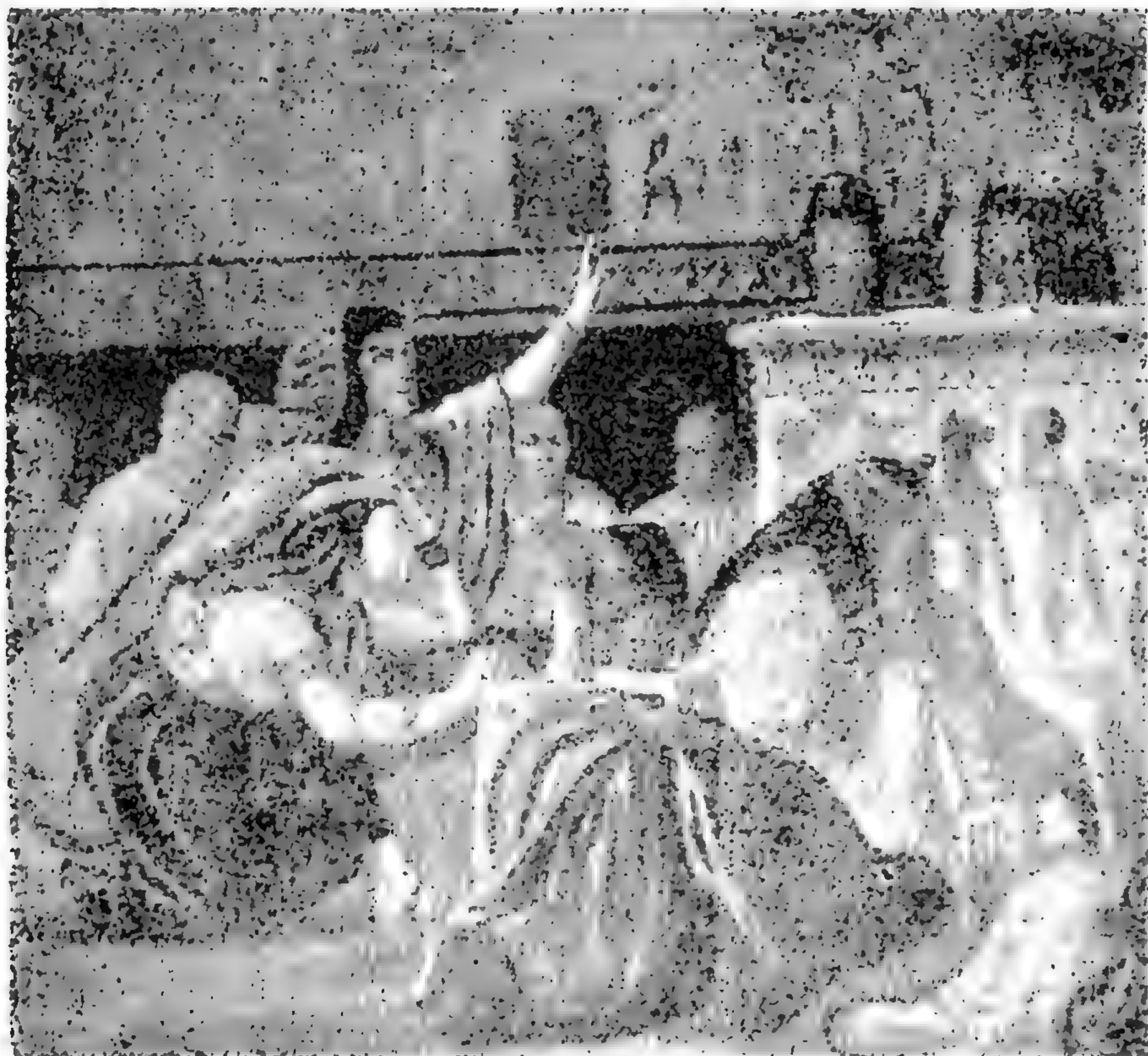
مات أمنحوتب بعد أن أحدث فى مصر ذلك الانقلاب الدينى الهائل ،
واتخذ لنفسه اسم اخناتون ...

ورزق من زوجته نفرتيتى سبع بنات تزوجت الثانية منهن شاباً من
أشراف القصر يدعى توتو ...

وهو الذى عرف فيما بعد باسم توت عنخ آمون ، وتبوأ عرش مصر
بعد اخناتون !

رؤيا اخستانون

ای ام لا توافق ابنها علی رایہ ،
اذا أدركت أن موافقتها تضمن له
السعادة ؟



اځنايون او امنځوتب الرابع
الفنان فايدنباخ)

أخذ المنحوتب الرابع أمه الملكة « تى » من يدها ، وقادها بلطف الى مفعد وثير ، فأجاسها عليه ، ووقف بجانبها وجعل يخاطبها بلهجة ملؤها العطف المقرون بالاجلال ، فقال :

— أماه ، لقد قضى الامر الآن ، وأصبحت نفرتيتى زوجة لى ، وهى فى هذه الساعة بين أيدي الوصيفات ، يطلعنها على ما ظهر وخفى من شئون الحريم فى القصر ، ويعددنها لما أردته لها من سعادة وهناء وعظمة ورفعة شأن . ويحز فى نفسى ، يا أماه ، أن تكونى غير راضية عنى وعنهما ، والا يجد هذا الزواج قبولا لديك ، فاسمحي لى أن أطلعك على العوامل التى دفعتنى اليه دفعا ، لكى تكونى على بينة من أمرى ؛ ولكى تعلمى أننى ؛ قيما فعلت ، قد أصغيت الى وحيين : وحي الآلهة ، وحي القلب !

فطبعت الملكة الوالدة على جبين ابنها الحبيب قبلة أفرغت فيها كل حنانها ، وقالت بصوت هادئ تتخلله رعشة الانفعال الشديد :

— اعلم يا بنى انك قد احببت هذه الفتاة الجميلة الساحرة ، وأن نداء الحب قد اصم أذنيك عن سماع كل نداء سواه . ولكن يؤلمنى أن يقع اختيارك على فتاة لايجرى فى عروقها دم ملكى فترفعها الى أوجك، وتضع على رأسها تاج الفراعنة ، فى حين أن ملوك المشرق يتسابقون فى عرض بناتهم عليك ، ويلقون بهن بين أحضانك وتحت قدميك ! وها هى ذى الاميرة تادور ..

فقاطع فرعون أمه قائلا :

— لقد أسأت الى تادور ، وسأوفد فى الحال الى أبيها الملك دشراته الرسل والهدايا ، وأبعث اليه خطابا أبثه فيه ما تولانى من أسف واسى، لا اضطرارى الى إعادة ابنته اليه ، بعد وصولها الى مصر قادمة من سورية !

— انها لاهانة كبيرة يا ولدى ، تلك التى الحققتها بذلك الملك الصديق الحليف ! فقد طلبنا منه ابنته تادور زوجة لك ، فأجابنا الى طلبنا، وأرسل اليها الفتاة فى موكب رائع . وفى أثناء الاعياد التى اقمناها فى طيبة توطئة لزواجك ، واستعدادا له ، رأيناك تعرض عن الاميرة السورية ، وتقرر أعادتها الى أبيها ، واتخاذ الفتاة نفرتيتى زوجة لك . الا تخشى . وهذا ما فعلت ، أن ينتقض عليك ذلك الملك الفوى، ويحمل ملوك الاقاليم السورية الآخرين على الانتقاض أيضا ؟

— اذا كان الملك دشراته يفقه معنى الحب ، ويدرك مدى سلطانه على القلوب ، ويقدر الالهام الذى يهبط أحيانا على الناس من وراء الحجب،

والذى تتخذها الالهة وسيلة لمخاطبتنا من العوالم الاخرى ، فانه لن يغضب ،
ولن ينتقض !

حدثت الملكة النظر فى فرعون ، وبدأت على وجهها امارات الدهشة ،
وقالت :

— وأى علاقة للالهة والعوالم الاخرى بهذا كله ؟

فانتصب امنحوتب بقامته النحيلة وأغمض عينيه ، وأخذ رأسه بين
يديه ، وخيل لأمه انه انتقل بفكره وعقله وبصيرته الى عالم غير هذا العالم ،
وسمعه يقول وفى صوته رنة لم تعهدها فيه من قبل :

— الرؤيا يا أماء ! الرؤيا ! لم انبئك الى الآن بما حدث ، ولم
أندرك بما سيحدث غدا .. فاسمعى :

— لقد رأيت فى اليقظة — لا فى الحلم — صفحة ملكى محفورة على
جبهه الدهر بيد الاله آتون . نعم آتون ، ولا أقول آمون ! لقد قرأتها
واعدت قراءتها ، وأدركت معناها ومغزاها وما كتب لى فيها من راحة
وغناء ، ونجاح وفشل ، وتأيد واستنكار ! لم يقدر لى فى تلك الصفحة
أن أتزوج ابنة ملك ، بل فتاة من بنات الشعب ، وقد تزوجتها . ولم يقدر
لى أن أظل تحت رحمة الكهنة الذين يستغلون ايمان الشعب فيستبدون به
وبفرعون أيضا . بنحجة أنهم ينفذون ارادة آمون . وانى لمقدم ، اليوم
أو غدا أو بعد غد ، على عمل سوف يهز المملكة هزا ، ويفتح أعين الشعب
للنور الحقيقى والهداية التى أريدها له ، ويجعل من مصر الحصبة ونيلها
المبارك تربة ينبت فيها الدين الجديد الذى عزمت على الدعوة اليه ، وتزدهر
فى أرجائها عبادة آتون . وسأخذ لنفسى اسما آخر غير الذى أحمله الآن :
لن ادعى « امنحوتب » بعد اليوم ، بل « اخناتون » وسأطهر النفوس من
فسادها ، والعقول من ضلالها ، والاجسام من سقامها !

سكت فرعون ، والعرق يتصبب من جبينه . ثم فتح عينيه وأرسل
الى أمه نظرة وادعة ، وأضاف قائلا بلهجة المتوسل الراجى :

— أماء !.. هذا ما أريد أن أفعله ، وهذا ما أريد أن تكونى لى عونى
فى القيام به ، وهذا ما سأجد فى نفرتيتى المحبوبة دافعا لى فى سبيل
تحقيقه !

والقى فرعون بنفسه بين ذراعى الملكة تى ، فجعلت الام تداعب
رأس ابنها ، وتهدهده كالطفل الرضيع ، وتغمره بدعورها ..

وأضاف فرعون بلهجة فيها تذكير وفيها عتاب :

— تقولين يا أماء : ان نفرتيتى من بنات الشعب .. هذا صحيح ..
ولكن أنت ، ألسنت أيضا من بنات الشعب ؟

كان امنحوتب الرابع ابن امنحوتب الثالث ، شخصية يحوطها
الغموض ويكتنفها الابهام . قيل انه عاش أربعين سنة ، وتيلى ثلاثين

فقط . وقد جلس على عرش مصر من سنة ١٣٧٥ الى سنة ١٣٥٨ قبل الميلاد ، وكان جميلا ، متأنقا ، رقيق الشعور ، سريع التأثر ؛ مجبال رعيته ، كثير العطف على الفقراء والمعوزين ، صارم الرقابة على الحكام والعلماء ، واسع الاطلاع ، ملما بشئون الدولة كبيرها وصغيرها ، شديد الحذب على أسرته . وقد أحب زوجته نفرتيتى حبا قلما دون التاريخ القديم والحديث مهيلا له .

علق بها وهى ترقص أمامه ، فى حفلة أقيمت فى قصره بطيبة ، قبيل زواجه ، فاختارها رفيقة لحياته ، وأحلها محل خطيبته ، وأجلسها على العرش . فأنجبت له سبع بنات ، أصبحت احدهن فيما بعد زوجة لفرعون مصر توت عنخ آمون .

ولم يكن اخناتون مخطئا عندما قال لامه : انه سيجد فى نفرتيتى دافعا له فى سبيل تحقيق رؤياه . .

فلقد اخلصت له بنت الشعب اخلاصا لم تشبه شائبة ، واقترته على ما أراد لبلاده وأمتة من انقلاب دينى واصلاح اجتماعى فكانت تسدى اليه النصائح والآراء ، وتعاونته فى نشاطه المتشعب الانحاء ، وتسهر معه الليالى فى اعداد العدة لاحباط الخطط التى كان كهنة آمون يتفنون فى احكام وضعها وتنفيذها ، لتخلص من ذلك الملك الشائر على التقاليد الموروثة والمعتقدات الراسخة فى الأذهان .

أعلن اخناتون أن الشمس ليست الهيا يمثل على الارض فى صورة انسان أو حيوان ، وأن الاصنام التى يسجد لها الناس فى المعابد انما هى آلهة زائفة ، وأن فى العلا ربا واحدا يتجلى لعباده فى «قرص الشمس» آتون ، فينير العالم ويبدد الظلمات ، وان اخناتون ، فرعون مصر ، هو « ضياء » ذلك القرص الوهاج !

وصدرت الاوامر باغلاق معابد آمون ، وتشتمت هيئة الكهنة ، وهجر فرعون عاصمة مأكه طيبة وأنشأ لنفسه عاصمة أخرى سماها « خوت - آتون» أى «أفق الشمس» وشيد فيها القصور للأسرة المالكة ، والهيكل للمعبود الجديد ، وراح يبذل العطاء بلا حساب لأرباب الفنون من نحّاتين وزمّامين ونقاشين لكى يتسابقوا فى زخرفة العاصمة وتجميلها ، بحيث تفوق سابقتها بهاء ورونقا وجلالا .

لم تشهد مصر فى تاريخها الطويل الحافل بالحوادث الجسام ، انقلابا مثل ذلك الانقلاب الهائل ، الذى لم يتناول الدين فقط ، بل امتد أيضا إلى السياسة والادارة والمجتمع .

وكانت الاسرة المالكة ملتفة حول عميدها ، متضامنة معه ، مؤيدة له فى أقواله وأعماله ، ولم تكن أمه « تي » أقل اندفاعا وحماسة فى ذلك من زوجته « نفرتيتى » .

وأدخل فرعون للمرة الاولى فى تقاليد الاسرة عادة لم يسبق للشعب أن ألفها من قبل ، وهى خروج الملك فى مواكب الرسمية ، وروحاته

وغدواته الخاصة ، مجحوطا بزوجته وبناته ، فرحب الناس بهذه الخطوة
الموفقة ، التي رأوا فيها ميلا من صاحب العرش الى التقرب من رعيته ،
فصاروا يحفون بفرعون وأسرته ويهتفون ويهللون !

وعمت البلاد موجة من الفرح والحبور ، واعتقد الشعب أن المستقبل
لن يحمل في طياته لأبناء مصر جميعا ، الكبار والصغار ، والاشراف
والصعاليك ، غير الهناء واليمن والرخاء .

ولكن كهنة آمون ظلوا لفرعون بالمرصاد ، وانصرفوا الى الدس في
الخفاء ، حتى اذا ما قصفت حياة ذلك المصلح الشباب ، وثوى في مرقده
الاخير ، خرج الدساسون من الظلام وراحوا يهدمون ما بنى ، ويمحون
ما ترك من أثر !

لم يدم عهد « آتون » وضيأؤه « اخناتون » وأفقه « خوت - آتون » ،
غير اثني عشر عاما - عادت مصر بعدها الى ما كانت عليه ، وتم القضاء
على الدين الجديد في عهد الرجل الذي تزوج ابنة اخناتون ، واتخذ لنفسه
اسم « توت عنخ آمون » .



أحاط الغموض بحياة نفرتيتي بعد موت زوجها ، ولم تدلنا الآثار
الباقية عن أسرتها على أى عمل أقدمت عليه ، بعد أن دالت دولتها ، ولم
تعد في القصر ربة عرش بل أما لربة العرش ، وحماة لفرعون !

وكان المنحوتب الرابع أو اخناتون قد أمر بصنع التماثيل له ولأمه
وزوجته وبناته . وأدت أعمال الحفر والتنقيب - في المكان الذي كانت
عاصمته قائمة فيه ، والذي يعرف اليوم « بتل العمارنة » - الى كشف
طائفة من الآثار الرائعة ، كان بينها تماثيل لفرعون وزوجته ، ورسوم
كثيرة عن طرق العبادة ، وتقديم القرابين لفرص الشمس آتون .

أما تماثيل الملكة نفرتيتي ، فهو آية من آيات الفن كما كانت صاحبته
آية من آيات الجمال . وقد أخفى ذلك التمثال فريق من العلماء الالمانيين ،
الذين عثروا عليه وعلى سواه من بدائع الفن المصرى القديم ، ثم تمكنوا
بحيلة شيطانية من نقله خلسة الى بلادهم ، حيث سلموه لحكومتهم ،
فعرضته في متحف برلين وكان بين محتويات ذلك المتحف أبدع قطعة
تسترعى الانظار وتثير الشجون وتدعو الى التفكير .

والراقصة المتوجة ، التي استولت على مشاعر فرعون ، وسحرت
جماهير الشعب منذ أكثر من ثلاثة وثلاثين قرنا ، وساهمت في أعظم
انقلاب شهدته مصر ، واختطفت من وطنها اختطافا ، وظلت منذ بعثها
الجديد ، تحير بنظراتها العقول وتخلب الالباب ، تلك الملكة التي جعلت
الحب يطفئ على كل اعتبار ويتبوأ عرشين في آن واحد ، عرش الملك وعرش
القلب ، تلك المرأة التي أرادها « آتون » رفيقة لصفيه وحبيبته ، تحترق
الآن في ديار الغربة لوعة على ماضيها ، وتنبوب شوقا وحنينا الى مراتع
صباها ، ومسرح عزها ، ومرقد رفاتها !

نفرتيتى، أرملة الزوجين

الملكة الجميلة الساحرة ، بكت
زوجا عرفته ، آخنا تون ، وبكت زوجا
لم تعرفه فمن هو ؟



الملكة نفرتيتي زوجة اخناتون

الموكب يسير بأقصى سرعة ممكنة، تنفيذا لأوامر الملك «سوبو» الهدما وعملا بإشارة ابنه «سوبو الصغير» الذي يتوق للوصول في أقرب وقت إلى مصر، حيث الملكة «نفر تيتي» الحسنة، أرملة الملك «إخناتون» تنتظر على أحر من الجمر !

كل من في الموكب يعرف مكانه منه، ويحرص على أن يظل النظام سائدا، والأوامر نافذة، فلا أحد يسبق أو يتخلف، ولا أحد يشرد إلى اليمين أو إلى اليسار : ثلاثمائة رجل أو أكثر، بين فرسان ومشاة، معهم عشرون مركبة تجرها الثيران، تحمل خمسا وعشرين من عذاري بلاد الحيثيين، اختارهن الملك بنفسه، ومعهن الهدايا الثمينة النادرة، من أسلحة وجلي ومجوهرات، وقطع من النسيج الفاخر، وقوارير الاصبغة والعطور .

وقائد الموكب، المشرف على سيره، ونظامه، المسئول عن سلامته، يروح ويجيء بين الطليعة والمؤخرة، ويراقب الجناحين، ولكن بدون أن يغرب عن بآله القسم الرهيب الذي قطعه على نفسه تجاه أخته، قبل أن يغادر بلاده في طريقه إلى مصر .

اسمه «حاطوم» وهو ضابط من ضباط الحرس في قصر الملك سوبو الهوما، وأخته «ثايتانا» وصيفة من وصيفات الملكة، ورببة القصر منذ نعومة أظفارها .

كل ليلة، قبل أن يغمض عينيه ويستسلم للنوم، يردد حاطوم بينه وبين نفسه الكلمات التي قالتها من قبل أخته ثايتانا ورددها هو ويده على صدره :

«لن يصل الأمير سوبو الصغير إلى مصر : فاما أن يعدل عن متابعة السير ويقفل راجعا إلى بلاده، واما أن يقتل في الطريق فيحول الموت دون وصوله !»

بذلك الوعد ربط حاطوم نفسه تجاه أخته . وبذلك الكلمات التي أقسم على العمل بموجبها، تعهد بخيانة المهمة التي وضعها الملك أمانة في عنقه، وهي الوصول بالموكب ومن فيه بالسلامة إلى أرض مصر .

وما تألف الموكب بأمر الملك، إلا ليرافق ابنه سوبو الصغير إلى حيث تنتظره المرأة التي طلبته زوجها لها : نفر تيتي !

تحرك الموكب في فصل الربيع . ووقع الاختيار على الليالي القمرية من شهر الأزهار، ليكون السفر مريحا، والجو معتدلا، والنسيم عذبا، في النهار أو بين غروب الشمس وشروقها .

وبينما الموكب يطوى في مراحل السهل والجبل، كان زجل

وامراتان مستسلمين بلا انقطاع لهواجمي يتخلها الامل والرجاء والشك
والياس !

امراة فى مصر تعد الساعات ، وتتضرع الى الرب آتون الذى تعجبه ،
بأن يحرس الشاب القادم اليها ، والذى لا تعرفه ، وان كانت عازمة على
اتخاذها زوجا لها .

وامراة فى بلاد الحِيثيين تعد الساعات مثلها ، وتصلى الى آلهة قومها
بأن تقرب اللحظة التى يعدل فيها الشاب المسافر الى مصر عن متابعة طريقه ،
فيرجع اليها حيا أو ميتا ، لانها تحبه ولا تريده زوجا لغيرها من النساء .

ورجل حائر بين امرين ، تائه بين عهدين : فاما ان يصل بالموكب الى
مصر فيخون أخته ويسبب ياسها أو موتها من الحزن ، واما أن يقتل الشاب
الذى يحرس موكبه ويقوده ، فيخون الملك الذى وضع فيه ثقته ، واختاره
من بين جميع الضباط رائدا لابنه .

فكر حاطوم فى مخرج من المأزق وذلك بأن يحاول اقناع ابن الملك
بالعدول عن مواصلة السير والرجوع الى وطنه .

ولعن الضابط الساعة التى خطر فيها لملكة مصر الارملة أن تطلب من
ملك الحِيثيين ايفاد ابنه الذى لا تعرفه الى مصر ، ليصبح لها زوجا بعد
زوجها الملك الراحل !

كانت نفرتيتى ، فى حياة اخناتون ، الزوج الملك الفيلسوف المتدين ،
أشد حماسة منه فى نشر المذهب الذى نادى به وفرضه على الكهنة فرضا ،
وتحمس له الشعب واعتنقه ، وهو مذهب الرب الواحد وعبادته فى صورة
« قرص الشمس آتون » !

وهى التى اختارت له اسمه الجديد « اخناتون » أى « نعمة قرص
الشمس » بدلا من اسمه السابق « امنحوتب الرابع » وهى التى وفرت
له ، بحبها المخلص العميق ، وارشادها وتفانيها وشجاعتها ، القوة الهائلة
التي كان لا بد له منها لمواجهة عناد الكهنة ، واحباط مؤامراتهم ، وازالة
العقبات التى أقاموها فى سبيله .

تولى الملك الشاب عرش الفراعنة بمصر سبعة عشر عاما ، من سنة
١٣٧٥ الى سنة ١٣٥٨ قبل الميلاد تقريبا ، وقبل موته بسنتين ، تسرب
الوهن الى نفسه ، وتقلب فيها اليأس على الرجاء ، وأيقن أن كهنة
« آمون » سوف ينتصرون عليه عاجلا أو آجلا ، وقرر أن يهادنهم ، ولو
كان فى ذلك رجوع عن دين التوحيد الذى نادى به ، وعوده الى المذهب
القديم وطوس العبادة السابقة .

وللمرة الاولى دب الخلاف بين الزوج وزوجته ، بين الملك والملكة ، بين
اخناتون ونفرتيتى .

أبت الملكة الحسناء أن تكفر بعقيدتها . واشتد الصراع الرهيب بينهما

وبين الكهنة . ووقف الملك موقف المتردد الحائر ، فحبه لزوجته لا يزال قويا ، ولكن صحته المتداعية تجعله غير قادر على الصمود والمقاومة في وجه التيار الذي اصطنعه الكهنة وأنصارهم ، ممن كانوا يجنون الفوائد والمغانم من المتاجرة بالدين واستغلاله لمصالحهم .

ولما مات الملك وهو في مطلع العقد الثالث من عمره ، وجدت نفرتيتي نفسها وحيدة أمام ذلك التيار الجارف ، وليس معها غير بناتها السبع ، من الفقيد الغالى .

ومع ذلك ، فقد ظلت ماضية في طريقها ، على أمل أن تعيد الى دين التوحيد ومذهب آتون مقامهما ومكانتهما ، في الايام المقبلة .

لكنها أدركت أنها أضعف من أن تبلغ هذا الهدف ، وقد أصبحت أرملة ، لا سلطة شرعية لها ، ولا جيش عندها تستعين به لفرض ارادتها .

ففكرت في اتخاذ زوج يحل محل الزوج الراحل ، وهداها التفكير الى التوجه بهذه الرغبة الى الاسرة المالكة في بلاد الحيثيين ، وهى مرتبطة بروابط القرابة والرحم مع الاسرة المالكة في مصر ، فنساء الاسرتين كن زوجات للملوك وأمراء وقواد في الدولتين الجارتين . فضلا عن المحالفة الهجومية والدفاعية التى كانت قائمة بينهما فى ذلك الوقت .

أوفدت نفرتيتي اذن رسلاها الى سوبو ألوما ملك الحيثيين . وطلبت منه أن يزوجهها ثالث أبنائه سوبو الصغير ، وهو يحمل اسم أبيه ، وتعرف عنه الملكة الشاب ، أنه جميل شجاع مقدم ، وان كانت لم تره فى حياتها ، ولم تقع عليه عينها ، ولكنها شعرت بأنه الرجل الذى يمكن أن تتخذه سنداً لها فى المحنة النفسية القاسية التى تجتازها .

هل فكرت فى أن تقوم بانقلاب يجعل من ذلك الامير الغريب ملكا على مصر ليوقف بجوارها فى صراعها ضد الكهنة ؟ أو فكرت فى أن تنقل على يده وبفضله دين التوحيد الذى اعتنقته ووقفت له حياتها ، من مصر حيث يهدده الانهيار ، الى بلاد الحيثيين حيث قد يساعدها الحظ لنشره ، والتبشير بمذهبه ، وحمل الناس على تطبيق مبادئه وطقوسه ؟

هذا سر حملته نفرتيتي معها الى القبر ، مع الاسرار الكثيرة التى دفنت مع الملوك والملكات فى تلك العصور الغامضة .

لبنى الملك سوبو ألوما نداء الارملة الحسناء بعد تردد طويل وتفكير عميق . وأوفد ابنه سوبو الصغير فى ذلك الموكب الفخم الذى عهد بقيادته الى صفيه ومؤتمنه الضابط حاطوم .

وسبق الموكب الى مصر ثلاثة رسل ، بين سفر كل منهم وسفر الآخر ثلاثة أيام .

حملوا الى الملكة السابقة الخبر السار الذى أعاد الامل الى نفسها ،

فباتت تنتظر وصول الزوج الثانى ، وتعد العدة لعمل ما ، تقدم عليه عندما تأزف الساعة .

وكان زوج ابنتها فى أثناء ذلك قد تبوأ العرش بمساعدتها ، وبات حائرا بين الاحتفاظ باسمه « توت عنخ آتون » ارضاء لها ، أو تغييره باسم « توت عنخ آمون » نزولا على الكنهة واتقاء لشركهم !

والموكب فى طريقه ، من بلاد الحيثيين ، يقترب من حدود الدولة المصرية !

الوقت يمر ، والايام تتتابع ، والضابط حاطوم يداعب سيفه فى كل مساء ، ثم يعمد فى كل صباح الى التحايل على سوبو الصغير ، ابن الملك ؛ لاقتناعه بالعودة الى بلاده ، وبأن مشروع الزواج الذى هو قادم عليه محفوف بالمخاطر ، قد ينتج عنه ما يضر بالاسرتين ، ويثير الحقد والتفرقة بين البلدين .

لكن الامير الشاب لم يقتنع ، بل قرر متابعة السير ، للوصول الى مصر فى اقرب وقت .

وقرر الضابط ، بعد أن يئس من اقناعه ، أن يغتاله تنفيذا لعهدته تجاه أخته .

لا يريد سوبو الصغير أن يرجع الى بلاده حيا ، فليرجع اليهما اذن جثة هامدة !

وعند أطراف الصحراء ، فوجئت القافلة ذات يوم بالضابط حاطوم يعان ، عند الفجر ، أن الامير سوبو وجد مقتولا فى فراشه ، بضربة سيف مزقت صدره واخترقت منه القلب ، وأن على كل واحد من المرافقين له ؛ أن يساهم فى معرفة القاتل والاقتصاص منه . وأن الموكب سيتوقف عن السير الى الامام ، ويعود أدراجه الى عاصمة المملكة ، حاملا جثة القتيل الى الملك !

لم يقتنع سوبو ألوما بما نقله اليه الضابط ، ولم يتردد فى اتهامه بأنه هو القاتل ، وبأن أخته ثايشانا هى المحرصة له على اقتراف جريمته .

وأمر بأن يقتل حاطوم بضربة سيف تمزق صدره وتخترق قلبه ، كما قتل هو الامير الشاب الذى عهد اليه بحراسته .

واعترفت الاخت بالحقيقة . ولكن هذا لم ينقذها من الموت أيضا . فقد أمر سوبو ألوما بوضعها فى كيس والثائها فى بئر !

وبكت الملكة نفرتيتى زوجها الثانى الذى لم تعرفه ، بعد أن بكت زوجها الاول الذى ذقت معه السعادة والهناء .

وبكت أيضا آمالها وأحلامها * وحفرت الدموع آثارا عميقة على
الخددين الناعمين ، خدى أجمل ملكة جلست على عرش ، منذ أن وجدت
العروش وتبوأتها النساء !

فكانت نفرتيتي ، ربة الحسن في عصرها وفي جميع العصور ، أرملة
موتين !

وماتت حزيننة كئيبة ، في الثانية والعشرين من العمر *

سیتی والیتیمہ الحسنا

تیتمت ثلاث مسرات ...
وابت ان تتزوج ...
ودفنت نفسها حية في قصر ...



... ونقل جثمان فرعون المحنط
من سفينة الى اخرى ...

الخبر الذى جعل القوم يفرحون ويتنادون للاجتماع ، هو أن فرعون مصر سيتى الاول قادم على رأس جيش لجب ولتأديب العصاة فى اطراف مملكته وملحقاتها ، وأنه يقترب من معاقلم فى زحف رهيب . لقد دب الرعب فى نفوس الخارجين على طاعته . ففرت قبائل « شاسو » نحو الشمال ممزقة الشمل لا تلوى على شيء ، والتحققت بحلفائها من الاموريين والخيبريين وهم العبرانيون . والفريق العاصى من سكان روتينو ، وكل هؤلاء يبقون الصمود ومواجهة الجيش المصرى الزاحف . فى المرتفعات الجنوبية من جبال لبنان ، محتمين بها ، على أمل أن يصل حلفاؤهم الحيثيون من الشمال لشد أزهم ودفع الخطر الداهم عنهم .

اولئك الهاربون الفارعون هم الذين تستمد العشيرة اللبنانية الصغيرة ، وانسباؤها القادمون لنجدتها من ربوع دمشق وهضابها ، للانتقام منهم . والثار لما سفكوه من دماء رجالها . ولمن ساقوهن سبايا من نساؤها وبناتها .

وقعت تلك المذبحة فى عهد رمسيس الاول عندما تحالف الحيثيون مع أولئك الاقوام لمهاجمة مصر ، فرفض ملوك الثفور الفينيقية أن ينضموا اليهم ، ونسجت على منوالهم العشائر الضاربة فى الجبال والوديان بين الساحل ومدينة دمشق ، ومن بينها العشيرة التى يودها « رانو » والنازلة فى الغابة الواسعة ، عند منابع الاردن .

فوجئت العشيرة ذات يوم بهجوم جيرانها عليها ، انتقاما منها لأنها خذلتهم ، وبالرغم من النجدة التى تلقتها من اصدقائها فى الساحل والداخل - غلبت على أمرها ، وانصرف عنها المعتدون دافعين أمامهم جميع النساء والعداري سبايا ذليلات . بعد أن قتلوا معظم الرجال وفر الباقون هائمين على وجوههم فى خفايا الجبال .

خمسون رجلا أو أقل نجوا من تلك المجزرة ، ولم تبق بينهم غير فتاة واحدة هى « حانيت » ابنة « رانو » الوحيدة ، التى سقط أبوها فى المعركة ، وسقط حوله اخوتها الاربعة ، وانتحرت أمها على جثته !

تلك البقية الباقية من عشيرة رانو هى التى فرحت وهللت ونحرت الدبائح ، يوم بلغها خبر قدوم الجيش المصرى بقيادة فرعون متجها الى الشمال ، أى الى مقر العشيرة ومعقلها

وحشد أعداء فرعون فى النهاية جموعهم عند بلدة يانوحام المنيعه الحصينة عند سفوح لبنان الجنوبية وهناك دارت المعركة الفاصلة . والى هاك وافى فرعون سيتى حلفاؤه من الفينيقيين القادمين من الساحل ، وابناء العشائر الوافدين من ضواحي دمشق ، وانسباؤهم

الهابطين من اهالى الجبال او النافرين من بطون الوديان ، وهم الذين عرفهم قدماء المصريين باسم « لبنانو » (١) .

وكان فى مقدمة الملبين لداعى الثار والانتقام ، الرجال الباقون من عشيرة رانو ، وفى طليعتهم الفتاة الوحيدة ، احنيت ، ابنة الزعيم الراحل .

كانت المعركة دموية فاصلة . قادها سيسى الاول نفسه فى جميع مراحلها ، التى استمرت من شروق الشمس حتى غروبها . وقد منى فيها أعداء فرعون بهزيمة منكرة ، فتكدست أشلاؤهم فى الميدان ، وهربت خلولهم تطلب النجاة فى المسالك الوعرة ، وبقي فى قبضة الجيش المنتصر عدد كبير من الاسرى .

حاربت عشيرة رانو وفتاتها الباسلة بشجاعة وايمان ، مبعثهما الرغبة فى الثار والانتقام أولا . والولاء لفرعون ثانيا .

وشكر سيسى الاول حلفاءه على نجدتهم . وهنأهم على بسالتهم ، وطلب منهم أن يعودوا الى موطن اقامتهم . مطمئنين على سلامتهم ، غير قلقين على غدهم .

وتقدم منه كبارهم ورجوا منه أن يتقبل منهم هدية من نبت ارضهم وانما ج تربتهم ، تكون لديه دليل اخلاصهم وولائهم .

فقبل فرعون ما عرضوه عليه .

والقى رجال العشائر اسلحتهم ، وحملوا فتوسهم ، وانطلقوا فى الجبال يقطعون الاشجار كبيرة وصغيرة ، ويفصلون الاغصان عن الجذوع والجدور، ويهدبونها ويصقلونها ، ويحملون ذلك كله الى فرعون . ولما هم الجيش بالتحرك عائدا الى مصر بجموع الاسرى واكداس الاسلاب ، تقدمت الفتاة حانيت ، وطلبت من فرعون أن يسمح لها بأن ترافقه مع بنى قومها . او على الاصح مع من بقى منهم حيا بعد المعركة ، وأن يتولى رجال العشيرة حراسة الهدية التى قدموها الى سيسى الاول

أكوام محزومة بالجبال ، من جدوع الارز الصلب ، والسنديان الضخم ، والصنوبر المشوق ، ورزم منسقة من افنان النسرين والريحان ، والاعشاب الطيبة ، ولعيدان العطرية ، والازهار المجففة : ذلك هو نبت الارض وانتاج التربة ، وتلك هى الهدية التى حملها أبناء العشيرة الوفية وحرسوها فى الطريق ، وهم ذاهبون الى مصر مع الجيش العائد اليها ، ظافرا منصورا ...

فى مصر ، أصر الباقون من عشيرة رانو على أن يلحقهم سيسى الاول بصقوف جيشه ، لكى يساهموا فى الجروب الآتية ، كما ساهموا فى لحرب التى انتهت بمعركة ياتوحام . فأجابهم فرعون الى رغبته .

(١) لبنانولهم اللبناونيون - سكان جبل لبنان

وأرادت فتاتهم ابنة رانو أن يكون مصيرها كمصيرهم : ولكن سيئتي
الاول رفض أن يحقق لها تلك الرغبة ، وقال: أنه خير لها أن تبقى في قصره
ملازمة لزوجته « تولى » وأنه يشملها برعايته ، ولكي تجد في كنفه وفي
كنف الملكة ، ما فقدته من حنان الاب والام ، بعد الكارثة التي حلت
بالعشيرة في عهد أبيها .

ورضخت حانيت لارادة فرعون . والتحققت بخدمة الملكة ، واستحوذت
على عطفها ، وأصبحت أقرب الوصيفات الى قلبها .

واستأنف سيئتي الاول حروبته وغزواته ، في الشرق والغرب
والجنوب . ولما استقر له الامر وأطمأن الى سلامة المملكة وحدودها
من هذه الجهات الثلاث ، تطلع الى الهدف الاكبر الذي وضعه نصب
عينيه منذ أن خلف أباه على العرش ، وهو اخضاع الحيثيين في أقصى
الشمال : ووقفهم عن مواصلة عدوانهم على أطراف الاقاليم الآسيوية
من الدولة المصرية .

زحف بجيشه مرة أخرى ، في الطريق الذي سلكه من قبل الى
مواطن الشاسو وحلفائهم ، ووجهته في هذه المرة أبعد منها في المرة
السابقة ، ودارت رحي معارك جديدة بينه وبين ملوك الحيثيين
والشعوب التي التفت حولهم ، وانتهى ذلك الصراع العنيف بعقد
معاهدة صلح بين مصر وبلاد الحيثيين ، تعد أول وثيقة من نوعها في
التاريخ

وبعد عودة سيئتي الاول الى بلاده ، ليبشر شعبه ببداية عهد جديد
يسوده الوئام والسلام كان يحمل معه للفتاة اليتيمة التي تركها في
قصره ، خبراً جعل الدموع تنفجر من عينيها الواسعتين ...

لقد مات جميع أبناء عشيرتها في خلال تلك الحملة الشاقة . ماتوا
موت الأبطال ، في ميادين القتال ، فكانوا شجعاناً أوفياء الى آخر نسمة
من حياتهم

أصبحت حانيت يتيمة مرة أخرى : لم يبق لها أحد من قومها
على قيد الحياة ! .. العشيرة كلها انقرضت !

وبقيت فتاتهم وحيدة في العالم !

لكنها وجدت العزاء على ما حل بها ، وعلى الاحزان التي عانتها ،
في العطف الذي غمرها به فرعون سيئتي وزوجته تولى .

مرت الاعوام والفتاة تعيش في القصر وتلازم الملكة وتتفانى في
خدمتها ...

اعوام ذاقته فيها مصر حلاوة السلم ورغد الهدوء . وانصرف
خلالها سيئتي الاول الى تشييد المعابد والهيكل ، وحفر تاريخ فتوحه
وماثره على لوحات من الحجر نصبت في جميع أنحاء المملكة ، وخص
بجزء كبير من اهتمامه المقبرة التي أعدها لنفسه ، لتكون مأوى جسده
بعد موته ، ومرتع روحه في العالم الآخر :

واستخدم فرعون في تلك المنشآت العظيمة ، أخشاب الاشجار
التي قطعها له سكان الجبال ، بعد معركة يانوحام ، وجاءوا بها مع
جيشه عند عودته الى مصر .

حاول الملك المحظوظ ، الذي ضحك له السعد في أيام الحرب
وأيام السلم على السواء ، أن يقنع الفتاة اليتيمة الحسناء بأن تتزوج
ضابطا من ضباط جيشه ، الذين حاربوا معه في بلادها ، وأن تختار
بنفسها ذلك الزوج الذي يرجوه لها ، وتعيش في هناء وسعادة مع رجل
يخصها بحبه ، ويشملها بحمايته ، فتبادلته الحب وترعاه بعنايتها

لكن حانيت رفضت : ان أملها الوحيد في الحياة ، والهناء الذي
تطمع فيه ، والسعادة التي تتوق اليها كل هذا مفرغ في أمنية واحدة ،
وهي أن يمتد العمر بفرعون ، وأن تبقى هي ساهرة على راحة زوجته !
لم يمتد العمر بفرعون !

فقد تبوا عرش مصر اقل من عشرة أعوام من سنة ١٣١٣ الى
سنة ١٢٩٢ قبل الميلاد .

ومات قبل أن ينتهي المهندسون والعمال من اعداد المقبرة التي
سيدفن فيها ، وقد وضع جثمان فرعون في تابوته ، بعد تحنيطه ،
والعمل في انجاز المقبرة لا يزال جاريا على قدم وساق

ويوم نقل الجثمان المحنط على مركب الجنازة ، من ضفة النيل
الى الضفة الأخرى ومن حوله النساء النادبات ، نهضت من بينهن
حانيت اليتيمة ، وتناولت من طيات ثوبها خنجرا عارى النصل ،
فاجتزت به شعرها المسترسل على ظهرها . وألقت خصلاته الطويلة
السوداء على النعش الذي ضم الجثمان العزيز !

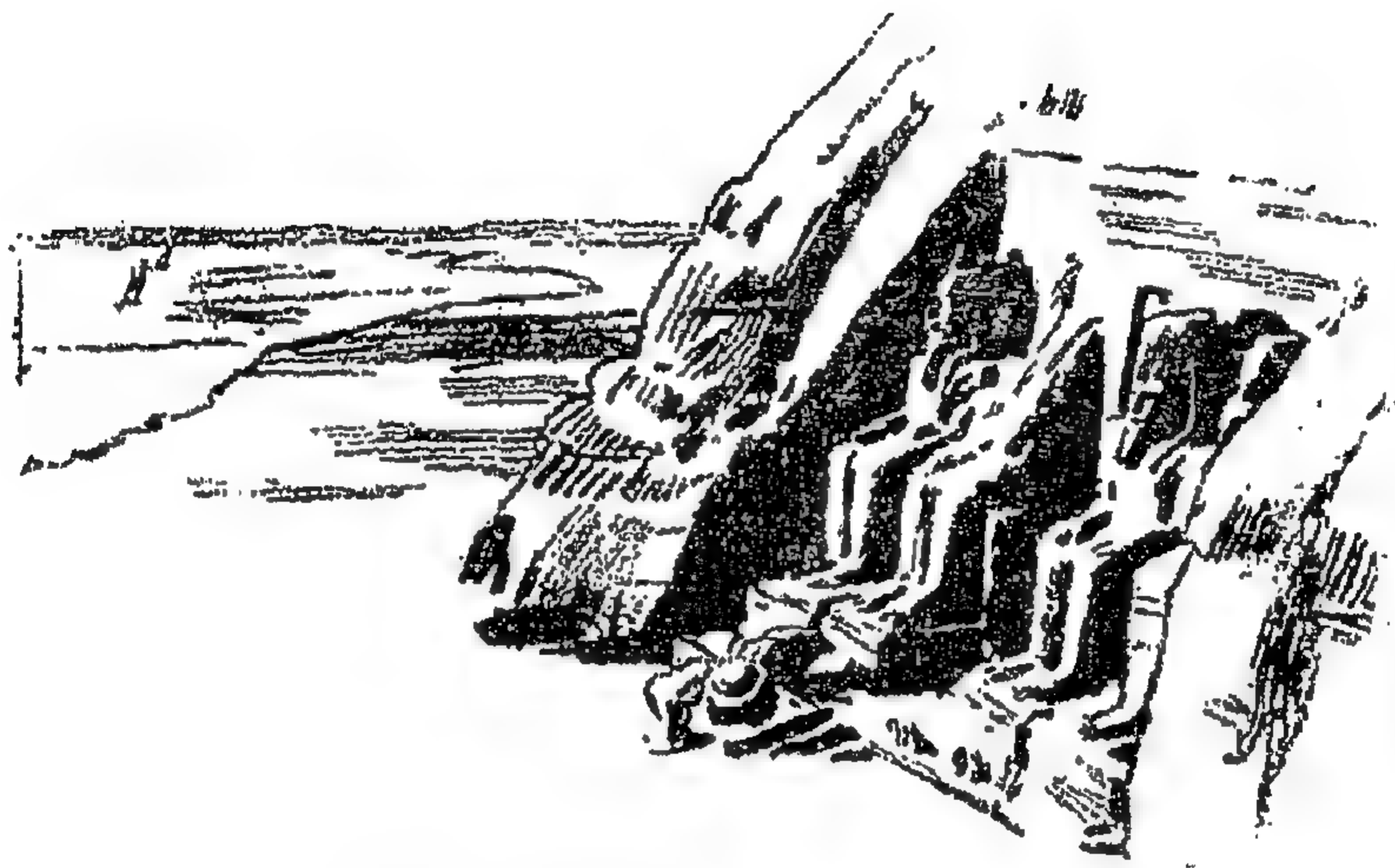
تلك هي التقاليد السارية في البلد الذي جاءت منه ، والتي تعبر
بها المرأة أو العذراء عن حزنها ، وتقطع على نفسها عهدا ، قبل موازنة
الميت في قبره ، ألا تتخذ من بين الرجال زوجا ، ولا ترفع صوتها
بالغناء ، ولا تشارك رفيقاتها في افراحهن ومسرراتهن

ودفنت حانيت نفسها حية في قصر فرعون . وقد شعرت بأنها
قد أصبحت ، بعد موته يتيمة للمرة الثالثة !

وقضت بقية حياتها منزوية في حمى تولى ، زوجة فرعون الراحل ،
سيتي الاول ، وأم فرعون الجديد ، ومسيس الثاني .

عرائس النيل

تكتف العالم بأسره لانقاذ معابد أبي
سنبل من الغرق في مياه « السيد
العالى » .



مدخل المعبد في أبي سنبل

« من أجلك خلقت بلاد خيتا ، لكي تجعلها تابعة لقصرك ، وأوحيت الى أهلها بأن يسعوا اليك من تلقاء أنفسهم ، حاملين الى ذاتك الملكية جزية رؤسائهم . وفي طبيعة الموكب ابنة ملكهم ، لادخال السرور الى قلب جلالتك . انها تحفة رائعة . جاءت اليك بدون أن تعلم أنني اتخذتها اداة لارضائك ، »

هذه العبارات ، خاطب بها الاله القدير ابنه وحبيبه رمسيس الثاني فرعون مصر ، فسجلتها أيدي النحاتين باللقية الهيروغليفية ، على أحد جدران المعابد المحفورة في جوف الجبل ، على ضفة النيل المبارك ، في المكان المعروف بأبي سنبل ، ببلاد النوبة .

رفع رمسيس الثاني الى الدروة مجد مصر الخالدة ، فخلد الفنانون ذكراه في لوحاتهم المنقوشة ، وصورته في تماثيلهم المنحوتة في الصخر الاصم ، واحتضنته آلهة مصر ، فكان حبيبها المفضل في حياته وفي مماته !

وابنة ملك خيتا - وخيتا هي بلاد الحيثيين - التي جاء ذكرها في اللوحة الهيروغليفية ، كانت هدية من الالهة الى ربيبها فرعون ، لكي يضمها الى زوجاته .

كان الملك خايتسارو - أو خاتوسيل كما يسميه قدماء المصريين - أشد أعداء مصر عنادا ، وأبعد خصوم فرعون طموحا ، وأوسع الملوك سلطانا وجاها وقوة ، في البلدان الممتدة الى شمال مصر وشرقها

جمع حوله شعبه والشعوب المجاورة وتحدى رمسيس في مطلع ملكه ، فمشى اليه فرعون ، واصطدم الفريقان في معركة « قادش » ثم في غيرها من المعارك ، وانتهى الامر بمعاهدة صلح وقع عليها رمسيس وخايتسارو ، في سنة ١٢٧٨ قبل الميلاد ، فكانت فاتحة عهد سلام ورخاء في الشرق ، دام نحو نصف قرن ، انصرف رمسيس في خلاله الى تحقيق مشروعاته العمرانية في طول المملكة وعرضها ...

وبعد أن حل الوثام محل الخصام بين فرعون مصر وملك الحيثيين ؛ أراد خايتسارو أن يوجد رابطة رحم مع رمسيس ، فأرسل اليه كبرى بناته ، في موكب يضم الفرسان والمشاة والعبيد والجواري ، تتقدمه الفتاة العذراء ، وتتبعه العربات المملوءة بالطنافس والتحف والاسلحة الغالية والاقمشة المزخرفة ، هدية الى فرعون

تقبل رمسيس الهدية ، وانزل العروس ابنة الملك الحليف منزلة خاصة في قلبه ، وسمها « ماتيفرورع » ومعنى هذا الاسم « المرأة التي ترى جمال رع ... »

وطلب من شاعرة « بنتاءور » الذي تفنى بانتصارات الجيش

المصرى وفتوحه ، أن يصف جمال الزوجة الحسنة في قصيدة
يشيدها المنشدون على أنغام الموسيقى ، قلبى الشاعر أمر مولاه ، وخص
« القمر القادم من الشرق ، المثل من فوق الصحارى ومن وراء الجبال
... » بأبيات دونها الخطاطون في أوراق البردى ...

حكم رمسيس الثانى ميامون - اى حبيب آمون - البلاد المصرية
وهو ولى عهد ابيه سيتى الاول ، وتولى العرش فى الثامنة عشرة من
العمر ، ومات فى الخامسة والثمانين بعد ملك دام سبعة وستين
سنة ! ...

لكنه ترك ايضا للاحقاب الاتية أضخم ارث خلفه ملك فى التاريخ ،
ومجموعة من الآثار الباقية على كر الزمن ، يقف أمامها الانسان مذهولاً
مذهولاً خاشعاً !

على مقربة من شلالات النيل فى بلاد النوبة ، حفرت الايدى
المصرية لفرعون سلسلة من المعابد فى قلب الصخور ، ونحتوا له أربعة
تمثيل هائلة الحجم ، تحرس الباب الرئيسى وتدعو الزائرين الى
الدخول ...

وفى جوف الجبل ، ممرات وسرايب وقاعات ، تصطف الى
جوانبها تمثيل الآلهة ، وتحمل سقوفها الاعمدة المشوقة ، وتخفى
اوجاعها تاريخ ذلك العهد ازاهر ، بما تخلله من حروب ومعارك وغزوات
وفتوح وانتصارات ، وما امتازت به ادارة الدولة العظيمة من دقة
وعدل واحكام . وما تمتعت به البلاد الخاضعة لفرعون من عيش رفد
ورخاء وازدهار ...

وخص رمسيس الثانى كل رب من الارباب ، الذكور منها والاناث ،
الآلهة والالهات ، بركن من المعابد المتتابعة ، وهياكل لحرق البخور
ونحر الدبائح ، وحجرات تأوى الكهنة وخادمت الارباب من النساء ،
ومخازن للاوانى المقدسة وأدوات العبادة المشبعة بالعطور ...

وكان فرعون يقوم برحلات منظمة الى تلك المعابد النائية ، فى
أطراف مملكته ، وحوله عظماء البلاد ومعاونوه فى حكمها وإدارتها ،
وآلاف مؤلفة من رعاياه ، فى جموع تملأ الارض على ضفاف النهر
العظيم ، أو تنتقل بالمرآكب والزوارق على صفحة الماء ..

فى يوم من الايام ، تقدمت الملكة مانتيفرورع الى زوجها وسيدها
بطلب لم يتردد فرعون فى اجابته ، ارضاء للزوجة المحبوبة ، وتحقيقاً
للرغبة التى أفضت بها اليه ، فهو لم يرفض لها فى حياتها طلباً ، ولم
يصد لها رغبة ...

قالت مانتيفرورع :

- فى القصر أيها المولى العزيز القدير ، رسول من لدى أسرتى ،
فى بلاد الحيثيين حلفائك ورعاياك ، والرسول جاء يعرض على مسامعك
ويطلب منى أن أقوم بالوساطة بينك وبينه - يعرض رغبة الاسرة
المالكة هناك ، فى ايفاد عشرين عذراء من بنات الحيثيين ، الى عاصمة
ملكك ، هدية من الشعب الذى انتمى اليه ، الى اسرة الملك الذى خصنى
بعطفه وعمرنى بنعمته ، فهل تقبل الهدية اليوم ، كما فعلت من قبل
يوم ارتضيتنى أنا هدية اليك من أبى خايتسارو ؟ فالعذارى العشرون
راغبات فى أن يشملهن عطفك كما شملنى ، وفى أن تصبح كل منهن
ملكا لمن تختاره لها من أبنائك او من الشبان الذين يستحقون منك لفتة
خاصة ! . . . والرسول فى انتظار الرد ، ليحمله الى أسرتى فى البلاد التى
جئت منها لتنفلد الاسرة أمر فرعون !

فطبع رمسيس الثانى على جبين الزوجة الطيبة قبة صامته ،
دلت على قبوله ورضاه . . .

وما مرت أسابيع حتى كان الموكب فى طريقه الى مصر ، يقطع
السهول والجبال والانهار ، كما قطعها موكب آخر ، فى الماضى ليوصل ابنة
خايتسارو الى حليفة فرعون .

بنات انتقاهن اهل مانتيفرورع من بين الغيد الحسان فى وطنهن
الاول : سمرارات وشقراوات . طويلات وقصيرات ممتلئات الاجسام
ونحيفاتها . فيهن من كل نوع من أنواع الجمال ، ومن كل لون من
الوان الحسن ، نموذج او اكثر وعلى نحورهن وفى اعناقهن ، وحول
زنودهن كل ما تمكنت ايدى الفنانين الحيثيين أن تصنعه وتفنن فى
صنعه من حلى تختلط فيها الحجارة الكريمة بخيوط الفضة والذهب !

أوصى فرعون زوجته الحيثية بأن تكرم وفادة العذارى من بنات
جنسها ، وأن تدعوهم الى رحلات برية ونيلىة ، لكى يشاهدن ما فى
مصر من غرائب ، ويعرفن كل ما يجب أن يعرفنه عن البلاد التى
أصبحت وطنا ثانيا لهن ، كما أصبحت من قبل وطنا ثانيا لها هى
وأعدت مانتيفرورع العدة لتحقيق ما أوصى به زوجها فرعون . . .

وكان اول ما فكرت فيه . أن تصحب الحسان الى المعابد القصية
فى أعالي النيل عند شلالاته ، وأن تقيم معهن أياما فى داخل تلك المعابد
الفريدة فى نوعها ، وتلقنهن العبارات التقليدية المقدسة ، التى ينشدها
الكهنة وتقرنم بها خادمت الهياكل ، فى صباح كل يوم .

زارت العذارى الحيثيات معابد الآلهة . وأنشبدن الاناشيد ،
وأصغين الى الانغام الساحرة ، وحضرن الحفلات الدينية التى أقيمت
من أجلهن فى ذلك المكان المقدس ، ورفعن الى الارباب فى مقرها المجهول
آيات الشكر على ما أغدقه فرعون عليهن من صنيع حسن . وجاء الموعد
المحدود لعودتهن مع الملكة من حيث أتين ، بعد انقضاء أسبوعين على
إقامتهن فى تلك الربوع . . .

عهدت مانتيفرورع الى قائد القافلة بأن يخرج بالعذارى فى نزهة

الوداع ، وقالت انها راغبة في قضاء يومها كله داخل المعبد . في عزلة عن الناس ، وفي مناجاة الالهة ؛ التي استجابت لها وحقت أمانيتها وجعلت منها امرأة موفورة الكرامة والسعادة ...

دخلت مانتيفرورع المعبد . وخرجت الفتيات العشرون في مركب واحد ، زحف بهن على ظهر النيل ، وارتفعت في الجو أصواتهن بالغناء والتهليل ، وامتزجت أنغامهن بالضحكات البريئة العالية ، وخيل اليهن أن الدنيا كلها تضحك في وجوههن !

وحدث ما لم يكن أحد يحسب له حسابا ، وما لم يعرف أحد فيما بعد له أسبابا !

هل أخطأ البحارة في قيادة المركب وإدارة دفته ؟ هل اصطدم المركب بصخر تخفيه المياه ؟ هل كان في قاع المركب ثقب لم يفتن اليه المسؤولون من صيانتته ؟ هل أدت تحركات العذارى الى اختلال التوازن ووقوع الكارثة ؟ سر ظل مجهولا ولا يزال ...

تبدلت الاغاني والانغام والانشيد ، فتحولت الى صيحات رعب وفزع ... وانقلب المركب بمن فيه ... وابتلعت المياه أجسام العذارى !

عبثا حاول البحارة ومن أسرع من الناس الى النجدة ، أن ينقذوا الغريقات البائسات : لم ينشلوا غير جثث فارقتها الحياة !

وهرولت الملكة من داخل المعبد الى حيث الصباح والعويل ، ووقفت مدعورة مرتعشة ، تنظر الى الكارثة المروعة !

عشرون فتاة عذراء ، أرادت مانتيفرورع أن تجعلهن عرائس لعشرين من أبناء فرعون أو أبناء من يصطفيهن ، فاذا بأنيل يخطفهن ويجعل منهن عرائس له !

هل غار النهر المقدس من البشر ، فعمد الى ابتلاع العرائس اللواتي جىء بهن من بلاد الحثيين ، فحملهن من قصر فرعون ضاحكات فرحات ، وأعادهن الى القصر هامدات صامتات ؟ رجعت الملكة مانتيفرورع بالمراكب من حيث أتت بها . ومعها جثث العذارى تغمسها الازهار والرياحين !

العرس تحول الى مأتم ... وموكب الفرح تحول الى جنازة ! وتأثر فرعون مما حدث ، فأمر بأن تدفن العذارى الحثيات في مكان واحد ، وأن تندبهن النادبات ، وتنوح عليهن النائحات ...

وأوفد الى بلاد الحثيين رسلا يحملون منه التعزية الى أسرة الملكة مانتيفرورع، ومعهم الهدايا والهبات ، عملا بالعادة المتبعة في الافراح والاتراح على السواء ...

وضاعف عطفه على الملكة المحبوبة ، لكى ينسيها ما انتابها من اضطراب ، وما خفق به قلبها من حزن على بنات قومها اللواتي حرمها النيل أياهن ، وحرم أياهن أيضا عشرين من شبان مصر وقتياتهن .

وقال فرعون :

ـ الحياة جميلة أيتها الحبيبة ... والحزن لا يدوم ...
والنسيان في طبيعة الإنسان ... وسوف اطلب من أسرتك هـ هناك في
بلاد الحيثيين ، أن توفد إلينا بدل العشرين من العذارى ضعف هذا العدد
منهن ... لكي تحل القادمت محل الفارقات ، تنسيننا بضحكاتهن
ما سببته الكارثة المؤسفة من دموع تساقطت من عينيك الواسعتين !

وجاءت من بلاد الحيثيين عذارى أخريات . رائعات الحسن
مثل السابقات . فأهداهن فرعون ومسيس إلى أصحاب الحظوة
لديه ، زوجات حليلات ، وعرائس حللن في قلوب الأزواج محل العرائس
اللواتي حرّمهم النيل إياهن ، في غضبة من غضباته ، وثورة من ثوراته !

نحن السابقون

طاف المصريون والفينيقيون حول القارة
الافريقية للمرة الاولى في التاريخ ... ووصلوا
الى عالم جديد عرف فيما بعد باسم (امريكا d)



البحارة الفينيقيون في رحلاتهم البعيدة

أقيمت الزينات في مدينة منف ، وجعل الناس يجوبون الطرقات والأزقة والميادين ، وبأيديهم المشاعل ، ينشدون ويهزجون ويرقصون ، ابتهاجا بالنصر المبين الذي أحرزه نخاو الثاني ، فرعون مصر ، على دولة اليهود في أرضها ، فزعزع أركانها ، وهزم جيشها في معركة ماجدو ، وترك ملكها قتيلا مضرجا بدمه ، وعاد إلى عاصمته ، معززا ، مكرما ، على رأس جيشه الباسل المظفر ، وكان ذلك في سنة ٦٠٩ قبل الميلاد .

دامت الأفراح والأعياد عشرة أيام بلياليها ، أطلق الشعب المصري فيها لمرحه العنان ، وجدد فيها العهد بملكه كما جدد فيها العهد لشعبه ، بأن يعمل الجميع يدا واحدة لخير مصر ، والنهوض بها من كبوتها ، والعودة بها إلى سابق عزها ، ومجدها ، وسؤدها .

خلف نخاو الثاني أباه بسامتيك الأول على عرش مصر ، وأقسم أن يواصل السير في الطريق التي شقها أبوه العظيم ، الذي طهر أرض الوطن من الآسيويين الفزاة أعداء الوطن ، ولقد بر بالقسم فكانت نهضة مصر في عهده رائعة شاملة .

وما عاد حتى جمع كبار رجال الدولة حوله في قاعة العرش الفسيحة ، فأطلعوه على ما حدث من أمور في غيبته الطويلة ، وما حققوه من مشروعات عمرانية ، ونفذوه من أوامر أصدرها إليهم قبل نهوضه لمحاربة اليهود وحلفائهم في أرض فلسطين . فأقرهم على ما فعلوا ، وأفضى إليهم بما يريد منهم أن يفعلوه فوق ما فعلوا في سبيل مصر وعرشها وشعبها .

وانصرف نخاو برجاله إلى الإصلاح الداخلي ، بعد أن تم له تأمين الحدود من الخطر الخارجي .

دخل الحاجب على فرعون يقول :

— مولاي . ان الضيوف الفينيقيين الذين وصلوا إلى منف قادمين من الشرق ، لا يزالون مقيمين في القصر ، وهم يرجون المثل بين يديك . فأجاب فرعون على الفور :

— على بهم ! . . لقد نسيت أولئك الأصدقاء الأوفياء ، الذين لحقوا بي من مدينة صور إلى ميادين القتال . فقد شغلتنى عنهم المعارك ، وكنت طلبت إليهم أن يسبقوني إلى مصر . فأهلا وسهلا !

وفتح فرعون ذراعيه مرحبا ، عندما ظهر بباب القاعة رنجلان وامرأة ، هم الضيوف الذين حدثه عنهم الحاجب :

— أهلا بك يا عبد بعل يا أمير البحار ، وبك يا سائكون يا أمهر الملاحين ، وبك أيضا يا ميليت ، ياسيدة قارئات الغيب ! .

وتقدم الضيوف الثلاثة من نخاو وحيوه تحية بلادهم ، فرفعوا أيديهم فوق رؤوسهم ، وأعادوها إلى صدورهم ، وقال كبيرهم عبد بعل :

— نهنتك بالنصر يا فرعون . لقد سبقناك الى هنا ، ولم نضيع الوقت سدى ، فأعددتنا في غيبتك العدة للقيام بالرحلة التي حدثناك عنها ووافقت عليها .

— لا أزال عند وعدى يا عبد بعل ، وسوف تبحرون على سفنكم باذن الآلهة بعد أيام .

ثم التفت نخاو الى المرأة الفينيقية التي سماها « سيدة قارئات الغيب » وقال :

— وأنت يا ميليت . . أما زلت مصممة على الرحيل معهم فوق الامواج ؟ أم أنت تفضلين الآن البقاء عندنا ، حيث تتبارين مع العرافين المصريين في تمزيق الحجب عن المستقبل المجهول ؟

فاجابت العرافة الفينيقية بصوت عذب رنان :

— أنا ابنة عبد بعل وزوجة سانكون ايها المولى ، فاسمح لى بأن ارافقهما في رحلتهم الشاقة ، فانهما سيحتاجان الى فى تتبع حركات النجوم وسير الكواكب ، وفى السهر على راحتهم . ان البحر موطن الفينيقي الاصيل . . ومكان الفينيقية الى جوار بعلها ! ساسافر .

— اذن على بركة الآلهة ايها الاصدقاء !

كان القائد البحرى الفينيقي عبد بعل . وهو من ابناء صور ، قد اقتنع فرعون مصر ، نخاو الثانى ، بأن يخشد عمارة من السفن الفينيقية ، ويبعث بها على ظهر البحر فى رحلة طويلة ، لكشف سواحل القارة السوداء كلها ، بالطواف حولها ، وعنى بالقارة السوداء افريقية ، وكان البخار الفينيقي يؤكد لعاهل مصر ان تلك القارة ما هى الا جزيرة كبيرة مترامية الشواطىء والاطراف ، وان فى استطاعة السفن ، اذا ما تسلم قيادها ربان ماهر ، ان تدور حولها وتعود ثانية الى الموانئ المصرية من الجهة المقابلة .

واقنع فرعون ، فأمر باعداد السفن اللازمة لتلك الرحلة البعيدة المخوفة بالمخاطر ، وتوكل على الآلهة وعلى اصدقائه الفينيقيين فى القيام بها على احسن وجه .

وقابل ضيوفه الثلاثة قبل رحيلهم بيوم واحد ، وتمنى لهم النجاح والتوفيق .

وخطب ميليت العرافة قائلا :

— سوف نحزم تكهنتك يا ميليت ، فرودينا منها قبل الفراق !

فاجابت العرافة بصوتها العذب الرنان :

— سمعا وطاعة ايها المولى ، لا بد من تزويدك منها قبل الفراق ، فمن يدرى ؟ لعله يطلع علينا من اعماق الظلمات ما لم يكن فى الحسبان ، فالقنى تحتفى .

ثم جلست ميليت القرفصاء ، وجعلت رأسها بين يديها وأقرقت
في الضمت ، حتى خيل للناظرين اليها أنها فقدت الحركة والاحساس ،
وجعل العرق يتصبب من جبينها ووجها وعنقها ، وأخيرا رفعت رأسها ،
وانبعثت من بين شفثيها تضرعات خافتة لآلهة بلادها ، ثم اتجهت الى
فرعون وقالت : . . .

— أيها المولى ! لقد أمرت رجالك بأن يعيدوا حفر القناة التي سبق
لسلفك العظيم سيتي الاول ان حفرها فوصلت ما بين البحرين ، الابيض
والاحمر ، مارة بالبحيرات المالحة ، وانى ارى ، من وراء حجاب الفيب ،
ان في عملك هذا ما قد يجلب الضرر على مصر ، فان حفر هذه القناة ،
ووصل البحرين ، سيعود بالفائدة على الغريب دون القريب ، وعلى
الاجنبى دون الوطنى . انك اليوم تتقاضى الرسوم على مرور الناس
والبضائع في أرضك ، وتتحكم في مصر البضائع والناس . أما غدا ،
اذا فتحت بين البحرين طريقا يسلكه الجميع فقد تفقد سيطرتك على
البضائع والناس ، وقد تجعل للخطر منقادا الى قلب بلادك . فبحق
الآلهة وبحق الوطن عليك ، مر بوقف العمل ، وكف عن مواصلة الحفر ،
فلا كانت قناة ولا كان اتصال !

دهش نخاو لتوارد الخواطر بين العرافة الفينيقية ميليت ،
والعرافة القرطاجية كيرا ، وهى ابنة الكاهن زنجارا ، وكانت قد نزلت
من قبل في ضيافته ، وقرأت له في صفحة الفيب ، وحديثه إعادة فتح
الطريق المائية بين البحرين . وها هى ذى عرافة أخرى ، جاءت من
فينيقية ، تقرأ في صفحة الفيب ما قرأته القرطاجية فيها ، فتردد
الآخرى على مسامع فرعون ما قالته له الاولى !
فقال نخاو : . . .

— جاءنى تحذير سابق يا ميليت ، وعملت بموجبه : فقد أمرت
بالكف عن مواصلة الحفر ، وأنت على حق فيما تقولين : فلا كانت فتاة
ولا كان اتصال قد يجلب على مصر الأضرار ، ولو احتمالا !

— قد يستأنف الحفر غيرك في مستقبل الايام ، ولكن الخسران
سيصحب ذلك العمل ، والندامة سترافق صاحبه . وعندها سيدرك
الناس وسيحمدونك !

— ولكن حدثينى عن رحلة القدر ، هل سيقدر لها الفوز ؟
— نعم . . . ستتم الرحلة على خير ما يرجى . . . غير انى لا أضمن ان
يعود الكل منها سالما . لقد قمنا من قبل أيها المولى برحلات أبعد من
هذه ، وأكثر مجازفة . . . وقضينا في رحلتنا الأخيرة ستة شهور ، فوق
المحيطات الشاسعة ، لا نرى غير السماء ونجومها ليلا ، والمياه الزرق
وحيتانها نهارا ، حتى بلغنا في النهاية شواطئ جزيرة هائلة مجهولة ،
تغرب الشمس فيها بعد شروقها عندنا بيوم كامل ، تختلط تربتها
بالذهب ، وتغطي أرضها الغابات ، وتجرى فيها أنهار تحاكي النيل
هائلة وجلالا . . . ثم عدنا نحن وبقي هناك منا رفاق ، وبما لا نتصل بهم

بعد اليوم أبدا . وقد يبذلون في ذلك العالم الجديد بذور أمة ،
وينشئون دولة ، كما فعل مواطنون لهم من قبل في بقاع أخرى من
الأرض شرقا وغربا . وسيأتى في مستقبل الأيام من يكشف عن تلك
الأرض البعيدة من جديد ، فيجد فيها سلالة أولئك الرفاق . . الذين
شقوا الطريق إلى أقصى الغرب ، فسبقوا إليه ، وسيكون لهم من بعد
ذلك أيها المولى لاحقون !

— انك تبعثين الأمل والثقة في نفوسنا يا ميليت !

— ان السفن التى تبنيتها الآن أيها المولى للطواف حول القارة
السوداء ، ستتم الرحلة وترجع اليك سالمة ، وسوف يجرى أيضا في
مستقبل الأيام من يعيد الكرة ، ويكشف من جديد في سفن أفضل من
سفننا نحن ، تلك السواحل التى سنحمل إليها تحية فرعون !

— اذن فحدثوا الشعوب التى تلقونها في طريقكم عن مصر ونيلها ،
وعن فينيقيا وموانئها . .

— سنحدثهم أيها المولى ، وسنغديهم بنتاج اذهانكم واذهاننا .
سنعلمهم كيف يقرءون ويكتبون ، سنلقنهم الصور الناطقة وحروف
الهجاء . سنهذب عقولهم بالآيات التى حفرها كهنة مصر على جدران
الهيكل ، وسنخبرهم كيف قهرنا البحار فى سفن صنعناها من خشب
الأرز والسنديان ، سندربهم على ترويض الأمواج ، وتبديد الظلمات ،
والتغلب على الصعاب ، وتبادل السلع والمنتجات ، وعبادة الآلهة
واستمطار رحمتها ، وتشبيد المعابد والهيكل ، وترتيل الصلوات
والاناشيد ، والعزف على الأعواد والنفخ فى المزامر ، حتى اذا ما جاءت
شعوب أخرى ، فى مستقبل الأيام ، وجدت السبيل أمامها ممهدا ،
والطريق مفتوحا ، والزرع مفروسا !

فنهض فرعون على قدميه ، ورفع يديه الى السماء مبتهلا :

— لتسدد الآلهة خطواتكم . سيروا بسلام على بركتها ، وفى
حراستها !

أنشأ فرعون نخاو أسطولا من سفن فيها ثلاثة أفواج من الجدافين،
للمرة الاولى فى التاريخ ، وانطلق الاسطول من الموانئ المصرية على البحر
الاحمر ، وشق طريقه فى البحار والمحيطات ، ودار حول الطرف الجنوبي
للقارة الافريقية ، وسار صعدا نحو الشمال ، فاجتاز مضيق «ملكارت»
الذى عرف فيما بعد بمضيق « جبل طارق » وعاد الى الساحل المصرى
الشمالى ، بعد رحلة استغرقت ثلاثة أعوام ، كان الوفاق فى خلالها تاما
بين البحارة المصريين والبحارة الفينيقيين الذين قاموا بذلك العمل
الجبار !

لقد تحقق حلم نخاو الثانى فى الطواف حول القارة السوداء ،

ولكنه لم يستطع أن يهنيء العرافة الفينيقية بنجاح الرحلة ، كما هنائه
هي من قبل بانتصاره في ماجدو ، ذلك لأن ميليت ماتت في الطريق ،
فألقيت جثتها في البحر ، مقبرة البحارة من قديم الزمان !

وقال فرعون لعبد بعل وساتكون ورفاقهما ، لما أرادوا العودة الى
بلادهم :

— أحملوا تحيات مصر وملكها الى مدينتكم وشعبها المقدام . فقد
قمنا معا بأعمال عظيمة ، وسوف يتبعنا من يتم عملا بدأناه ، ويسير في
طريق سرنا فيه . فنحن السابقون وهم اللاحقون !

فرعون ويحورزا

قالت العرافة ابنة الكاهن لفرعون :
« أن دولة يهوذا لا يؤمن جانبها
ولا سبيل الى انتقال شرها الا بازالتها
من الوجود ! »



الهدايا الى فرعون من البلدان التي فتحها والشعوب التي دوحها

قال فرعون «نخاو» للفتاة القرطاجية ، بعد أن أصفى باهتمام الى القصة التي روتها على مسامعه أمام العاشية الملكية :

— انت هنا في أمان يا كيرا... وعناية الآلهة هي التي شاءت أن تدفع العاصفة بالسفينة المصرية الى ذلك الساحل الافريقي ، حيث تحطمت سفينتك على الصخور ، لكي ينقذك رجالنا من هلاك مؤكد... والان ، بعد أن عرفت ما حدث لك ، بقى على أن أخبرك بأن أباك « زنجارا » ليس غريباً على !

ثم الفتاة السرور لسماعها هذه الكلمات من فرعون ، ووقفت أمامه حائرة لا تفوه بكلمة ، وقرأ «نخاو» على محياها رغبتها في المزيد من الافصاح ، فاستطرد قائلاً :

— لا يدهشك هذا... فان زنجارا الكاهن الورع ، والعالم المطلع، قد زار مصر كما تعلمين وأقام فيها بعض الوقت ، في عهد أبى «بسامتيك» وكنت في ذلك الوقت صغيراً أكتفى باللعب مع رفاقي أبناء كبار المملكة ولكننى أذكره... أذكره جيداً... ولا أنسى كيف أنه رفعنى ذات يوم بيديه القويتين ، وقال لأبى وهو يحدق في بصره الحاد : « ابنك هذا هو الذى سينتقم لك من ملوك يهوذا » ! ولم أفهم معنى هذه العبارة الا فيما بعد .

وقالت كيرا :

— أيها الملك ، لقد علمنى أبى كيف أمزق حجب الغيب ، واقرأ فى صفحة المستقبل كأنها صفحة الحاضر ، وأخاطب النجوم فتدرد على بلغة أفهمها ولا يفهمها سوى... وسأضع معارفى هذه كلها فى خدمتك ، كما وضع أبى معارفه فى خدمة أبيك !

وأمر «نخاو» فرعون مصر بأن تخصص للفتاة الغريبة حجرة فى جتاج النساء بالقصر الملكى ، وأن تقوم بخدمتها ثلاث وصيفات .

وراح يفكر فى غرائب المصادفات التى تسوق مصير البشر، وتدفع بعضاً الى اتجاه بعض ، وتفرق بينهم أو تجمع ، وتبعد أو تقرب ، كأنها تلعب بهم كما يلعبون هم بالحصى !

وتذكر وصية أبيه : « كن عادلاً فى الداخل . واسهر على سلامة الدولة ، واحذر الغدر من الخارج : ان الكلدانيين وحلفاءهم يطمعون فى خيرات بلادنا ، ومملكة يهوذا تلعب لعبتين بيننا وبين الطامعين فينا ، فاحذر القائمين بأمر هذه الدولة ، وإياك ان توليهم ثقتك ، فقد غدروا بى اربع مرات ، ولم أثار لنفسي منهم بعد ! »

تذكر «نخاو» الثانى تلك الوصية التى أفضى بها أبوه قبيل وفاته ، وتذكر تكهن الكاهن القرطاجى زنجارا ، بأنه سينتقم لأبيه من يهوذا... .

وقال في نفسه ان وصول كيرا ، بنة زنجارا ، الى مصر ، في ذلك الوقت باللات ، لهو فال حسن بلا شك .

نعم ، ان وصول الفتاة لفال حسن ، فقد روت للملك أنها كانت عائدة الى وطنها قرطاجة ، بعد طواف طويل في معابد فينيقية ، ومعها عمها وابنه ، ففاجأت سفينتها في الطريق عاصفة هوجاء دفعتها الى الشاطئ الافريقي ، فتحطمت على الصخور ، ولولا لطف الاله ووجود سفينة مصرية دفعتها العاصفة أيضا الى ذلك المكان ، ما خرجت الفتاة من هذه المحنة حية .

وطلبت كيرا من البحارة أن يأخذوها الى الملك ففعلوا . وهكذا وجدت الكاهنة ابنة الكاهن نفسها بين يدي فرعون نخاو الثاني ، ابن فرعون بسامتيك ، الذي أكرم وفادة أبيها من قبل ، كما أكرم ابنه وفادتها هي وكانت دولة يهوذا ، في الشرق ، وعلى مقربة من حدود مصر ، عاملا من عوامل القلق ، وسببا من أسباب الاضطراب .

تذكر «نخاو» ما قاله له الكاهن زنجارا القرطاجي وهو طفل في كنف أبيه : فأراد أن يسمع ما تقوله ابنة الكاهن . كيرا وهو ملك جالس على عرش أبيه !



عاشت الفتاة في القصر لا فرق بينها وبين أمة امرأة من نساءه ، معترزة مكرمة ، وكان فرعون نخاو يغترف من مناهل علمها ، ويقارن بين ما يسمعه منها وما يسمعه من كهنة مصر الواسعي الاطلاع .

وجاء اليوم الذي شعرت الفتاة فيه انها استكملت استعدادها الجسدي ورياضتها الروحية ، لتستطاع الغيب وتقرأ في صفحاته ما دون فيها لفرعون نخاو . . . ولتنحر ذبيحة لآلهة قرطاجة وتفحص أمعاءها وتغتسل بدمائها ، وتقضي في النهاية الى الملك الذي وثق بها واحلها في كنفه ، بما ينتظره في مستقبل الايام وبما يجب عليه أن يفعل في السنوات الباقية له على الارض .

وقالت كيرا بنت زنجارا القرطاجي : « انك تفكر أيها الملك في تطهير الطريق المائي الذي كان في عهد أجدادك يصل البحر المتوسط بالبحر الاحمر خلال أرض مصر الطاهرة ، والذي غمرته الرمال وأزالت معاشه ، فأياك أن تفعل ، أياك أن تعيد قناة المياه الى ما كانت عليه ، فان هذا الطريق المائي سيكون شؤما على مصر ، لان الوقت لم يحن بعد لاعادة فتحه !

انك تفكر أيها الملك في رحلة بحرية طويلة تقوم بها السفن المصرية في الغزوات الشاسعة ، بقيادة أصدقاء لك من بحارة فينيقية ، فافعل ولا تتردد ، فانها لرحلة سوف تخلد اسمك على مر الاجيال لانك ستفتح بها فتحة جديدا عظيما !

« انك تفكر أيها الملك في الزحف شرقا للقاء خصومك قبل أن يزحفوا فافعل ولا تتردد ، ولكن أخذر خيانة ملك يهوذا الذي يعرض عليك صداقته ، انها صداقة منطوية على زغل !

« انك تفكر أيها الملك في وسيلة تضمن بها وقوف يهوذا بجانبك لاتخاذ هذه الدولة كمنطقة أمان بينك وبين أعداء مصر ، فلا تطل التفكير ، أن يهوذا دولة لا يؤمن جانبها ولا سبيل الى ألقاء شرها «لا يازالتهنا من الوجود ، فاضربها أيها الملك ، أو حرص عليها من يضربها ، فإن الراحة لن تعم بال السكان في هذه الديار، والاطمئنان لن يعود الى النفوس في هذه البقاع ، الا اذا هدم عرش يهوذا ، وعلمت الدولة المزعجة ، وتشتت شعبها في أنحاء الارض »

« أيها الملك ، لا تحالف ملك يهوذا لانه سيخونك ، ولا تحارب معه جنبا الى جنب لانه سيخونك من الخلف ، وسوف تندم ان فعلت ! »

هذا ما قالته الكاهنة القرطاجية ، التي أنقذتها رجال فرعون من الهلاك ، واستضافها فرعون في قصره ، واحبها واحبته، ولكن الحب بينهما ظل بريئا ، تتخاطب فيه الروحان .

فقد قالت كيرا لفرعون :

« ان أبى قبل موته ، جعل منى خليفته ، ورسمنى كاهنة للربة تانيت ، والكاهنات في معابد تانيت لا يتزوجن ولا يستسلمن للحب ، وأنا هنا ، في قصرك ، أحسب نفسى فى هيكل من هيكل تانيت ، لانى حولت حجرتى الى معبد انصرف فيه الى الصلاة !

وفطنت نساء القصر جميعا الى ذلك الحب الذى نشأ بين فرعون والفتاة القريبة ، ولكنهن فهمن أيضا حقيقة ذلك الحب ، فاحترمته ولم تكن الملكة نفسها أقل احتراماً لتلك العاطفة النبيلة من النساء الاخريات!

أما فرعون ، فقد أكبر موقف الفتاة التى أحبها ، وزاده هذا تمسكا بما تكهننت به يوم نجرت ذبيحتها لتانيت ، الربة القرطاجية ، وقرأت فى جوفها ، واستطلعت صفحة القيب ، وفسرت سير النجوم ، والكواكب ، وقأنت لفرعون ما يجب عليه أن يفعل

وعمل فرعون « نخاو » بنصائح الفتاة ، لانه اقتنع بأنها ارادة الالهة نطق بلسان الكاهنة .

كان يفكر فعلا ، قبل أن يفقد أباه ، وقبل أن يرتقى العرش ، فى تنفيذ المشروع الذى قرره بسامتيك فى أواخر عهده ، والقاضى برفع الرمال والأتربة من القنوات التى كانت من قبل تربط فروع النيل ببعضها ببعض وتمتد خلال الصحراء من شاطئ البحر المتوسط الى بلدة «كتسيما» الجائمة فى طرف الخليج المؤدى الى البحر الاحمر ، والتى عرفت فيما بعد باسم «السويس»

واقتنع الملك ، بعد مشورة الخبراء ، وبعد المقارنة بين الفوائد والاضرار الناجمة عن تحقيق ذلك المشروع فى الظروف الراهنة بأن العدول عنه خير وأوفى ، وأن الافضل لمصر أن تصون الطريق البرى بين البحرين وتتحكم فيه ، من أن تعيد فتح الطريق المائى القديم ...

وبدون تأجيل ، قرر فرعون تنفيذ ما كان البحارة الفينيقيون
يقترحونه عليه ، وانشاء أسطول يجوب البحار ويطوف حول القارة
الافريقية ...

بينما كان نخاو الثانى يفكر فى ذلك جاءت له الاخبار من يوشيا
ملك يهوذا ، بأن الكلدانيين وحلفائهم بدءوا الزحف نحو مصر ، وانهم
يهاجمون الاشوريين وحلفاء المصريين ، فلا بد لهؤلاء من نجدة ، والا فانهلاك
مصريهم .

ولم يتردد فرعون فى الزحف لنجدة حلفائه ، معتمدا على ملك يهوذا
ايضا ، ليلتحق به مع جيشه .

وقلب يوشيا لفرعون ظهر المجن ، وبأن على حقيقته ؛ فانقلب عليه
وحاول أن يطعن الجيش المصرى من الخلف !

لكن نخاو كان أسرع وأبعد ذهاء : فقد وثب بجيشه على جيش يهوذا
فى سهل « ماجدو » وشنت شمله ، ومزق صفوفه ، وتركه أثرا بعد عين ،
وقتل الملك يوشيا فى حومة الصراع ، فلقى جزاء خيانتة وغدره وكان ذلك
فى سنة ٦٠٩ قبل الميلاد .

وكانت كيرا صادقة !

وتقول التوراة فى سفر الملوك « ان عبيد يوشيا أركبوه ميتا من
ماجدو وحملوه الى اورشليم حيث دفنوه فى قبره »

ونادى الشعب بابنه « يواجاز » ملكا خلفا لابييه ، « وصنع الشر فى
عينى الرب على حسب جميع ما صنع آباؤه من قبل ! »

ورفض فرعون « نخاو » الاعتراف بالملك الجديد ، فخامه ، وأخذه
أسيرا الى مصر ، وأقام ملكا مكانه أخاه « الياقيم بن يوشيا » وسماه
« يوياقيم »

ومات « يواجاز » بمصر !

ولما أصبح ملك يهوذا من صنائع فرعون ، وربيب نعمته ، ومدينا
له بعرشه ، ظن نخاو أن الوفاء سيجعل الملك يوياقيم يحافظ على العهد
أكثر من أبيه ..

لكنه كان مخطئا فى ظنه .. وكانت كيرا القرطاجية هى الصادقة !
فقد استأنف « نخاو » الحرب واعتمد مرة أخرى على ملك يهوذا ،
فخان الابن حليفه كما خانته الاب من قبل ، وتفاقم خطر الاعداء وتكاثر
حلفاؤهم ، فتراجع فرعون الى ما وراء حدوده ، وآثر الانتظار على التسرع ،
واختار الحكمة بدلا من الحماسة .

وكررت الكاهنة القرطاجية ما سبق لها أن قالت له : « ان يهوذا
دولة لا يؤمن جانبها ، ولا سبيل الى اتقاء شرها الا بازالتها من الوجود ..
فاضربها أيها الملك ، أو حرض عليها من يضربها ! »

وقرر فرعون نخاو أن يزيح نفسه من أعدائه جميعا ، بأن يحرضهم بعضهم على بعض .

كلهم يريدون به شرا ، ويكيدون له سرا وعلنا ، فليعمل هو لاعادة كيدهم الى نخورهم .

... ربنم خطة بارعة أدت الى نشوب القتال بين الكلدانيين واليهود ، فانتصر الكلدانيون ، واجتاحوا دولة يهوذا ، وساقوا سكانها أسرى الى ضفاف الفرات .

ومنذ ذلك الوقت ، بدأ تشتيت اليهود في أنحاء العالم .

أما « نخاو » فقد اعتصم في بلاده بعد أن ضاعف تحصينها وأتقن الحراسة كلها ، وأقام الخافر والقلاع ، وأفرغ همه في تقوية الجيش وتسليحه وتدريبه ، لدرء الخطر به اذا وقع الخطر ، أو لضمان الفوز اذا ما اضطرت مصر الى الزحف خارج حدودها ...

وعرفت مصر في عهد « نخاو » العزة والمنعة والرخاء والاطمئنان .

وذاق فرعون لذة النصر ، وعرف كيف يتلافى عواقب الاخطاء التي وقع فيها ، وكيف يبتعد عن الخطر اذا كان شاعرا بأنه ليس في وسعه التغلب عليه .

وكان سعيدا في حياته الخاصة ، سعيدا في زواجه ، سعيدا بذريته ! وظل وفيا لكيرا الكاهنة العاشقة .

أما كيرا فقد رحلت عن مصر بعد أن تحققت المرحلة الاخيرة من مراحل تكهناتها ، واقتص فرعون من ملوك يهوذا ، يوشيا وبواجاز ، ويوياقيم : الاول بأن قتله ، والثاني بأن خالعه فمات من الحزن ، والثالث بأن ألغاه في فم الأسد الكلداني فافترسه الاسد !

أما كيف رحلت ، فقد أراد ذات يوم أن يحملها على الخروج عن عنادها ، والعدول عن تحفظها ، والاستجابة لنداء الحب :

— أما زلت متمسكة برأيك يا كيرا ؟

وجه فرعون اليها هذا السؤال ، فاذا بها تجهش بالبكاء ؛ وتهرع هاربة من الحجرة !

وكانت هذه أول مرة تخون كيرا فيها نفسها ، وتعجز عن حبس دموعها .

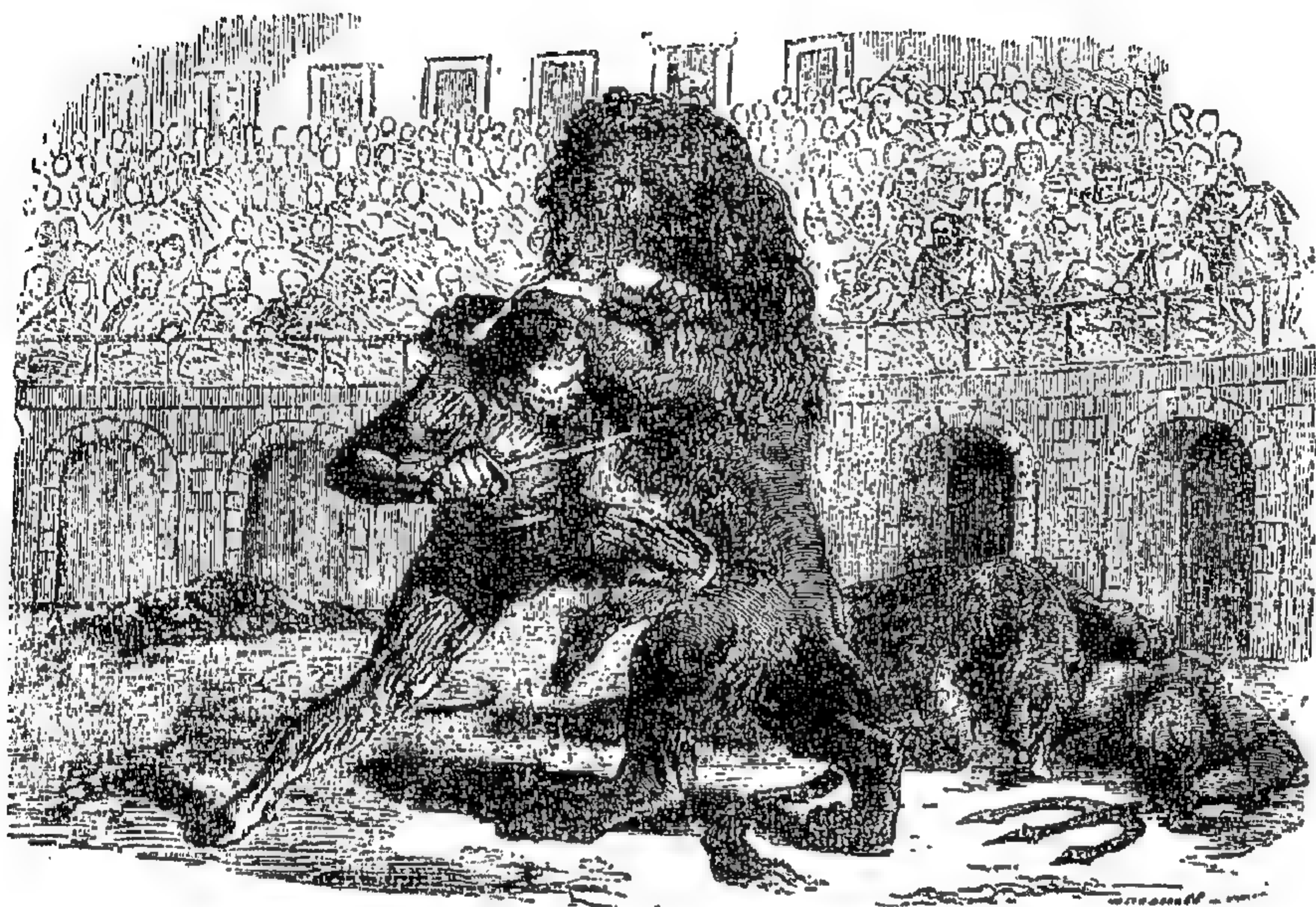
وفي اليوم التالي ، جاءت هادئة ، جميلة ، ماثفة بخمار أرجواني — اللون الفينيقي القرطاجي — وجلست بجانبه ؛ وقالت بصوت متهدج ينم عما يتلاطم في صدرها من مشاعر فائرة :

— حبيبي ! حبيبي ! ان بقيت هنسا في قصرك ، في بلدك ، في مملكتك ، فأننى لن أقوى على الصبر ، ولن أحافظ على طهارتى .. وطهارتى

أمر لازم ، و شرط لا بد منه لمن وقفت حياتها مثلى ؛ لخدمة الرببة تانيت؛
حبيبى ... أحبك ... ولأفنى أحبك ، ولأنك تحببنى ، يجب أن
تفترق ، لم أفعل فى مصر ما يمكن أن يكون موضع نقد أو مؤاخذه ...
وسأترك عندكم فى هذا البلد المحبوب ، ذكرى طيبة معطرة !
وأخذ فرعون رأس الفتاة النبيلة الطاهرة بين يديه ، وطبع على جبينها
قبلة طاهرة !

قاهر الوحوش

كان عبداً وقيفاً ، وكان أيضاً جباراً عنيداً
فانتزع حرته انتزاعاً من مغالب الأسد



مصارعة الوحوش

شهدت مدينة الإسكندرية في صيف سنة ٢٧٥ قبل الميلاد ، مهرجاناً فخماً دام عشرين يوماً . وأمر « بطليموس الثاني » بأن توزع النقود والمون على الفقراء بلا حساب ، وأن تبسط الموائد في الشوارع والميادين كي يأكل الناس ويشربوا على أنغام الموسيقى ، فقد أقيم ذلك المهرجان احتفالاً بزواج بطليموس للمرة الثانية ، إذ كان قد غضب على زوجته الأولى - وكانت غريبة عن أسرته - فطلقها وأرسلها إلى المنفى ، ثم تزوج أخته التي عرفت في التاريخ باسم « أرسينوى الثانية » وكان زواج الأخ باختة من العادات المألوفة عند البطالسة وغيرهم في ذلك العهد .

أما بطليموس الثاني فقد عرف باسم « ميلادلف » أي المحب لآخوته لا لأنه كان في الواقع يحبهم ، بل لأنه كان يكرهم كره الموت ، ولأنه قتل منهم اثنين عند ما اعتلى عرش مصر .

وأرادت الملكة الجديدة أن تزيل من القصر كل أثر للزوجة السابقة ، فأبعثت عنه جميع الخدم والعبيد والجواري والوصيفات ، وجاءت بأشخاص تشق بهم وتطمئن إليهم ، حتى لقد طلبت إليها زوجها أن تبقى في خدمتها واحدة فقط من وصيفات زوجته الأولى فرفضت ، فأرسل بطليموس يستدعي تلك الفتاة لينظر في أمرها ، إذ كان يعطف عليها عطفًا خاصاً ، لأن أباهما أنقذه مرة من الغرق وراح ضحية شهادته ووفائه . . .

كان اسمها « عمرة » . هي ابنة رجل عربي من قحطان ، جاء به بطليموس من البلاد التي شرق نهر الأردن ، حيث كان يشتغل بتجارة الخيول بين تلك البلاد وصحراء العرب ، وعهدة اليه بالاشتراك على خيول القصر والحرس ، وتزويجها وترويضها ، إلى أن مات تاركاً ابنته الوحيدة أمانة في عنق الملك ، وكانت « عمرة » في عتقوان الشباب ، بازعة الحسن ، ستمراء اللون ، سوداء الشعر والعينين ، فتولى بطليموس أمرها ، وجعلها من وصيفات زوجته الأولى ، فكانت مثال الولاء والأخلاص . . .

أطلعها بطليموس على قرار زوجته الثانية بإبعادها عن القصر ، وقال : انه سيبعث بها وديعة إلى أية أسرة تختارها من أسر القواد والحكام ، فبكت عمرة وطلبت إليه أن يعيدها إلى البلاد التي جاءت منها ، لكي تبعد عن أهلها وذويها ، وتقضي حياتها بين ظهرانهم حرة من كل ضغط وقييد .

وأجابها الملك إلى رغبتها . . .



كانت عاصمة البلاد التي عبر الأردن تدعى « ربة عمون » منذ إقامة العمونيين فيها وإنشاء دولتهم في تلك البقاع الوعرة . وقد خربها الملك داود ، واجتاحها الآشوريون ، وذكت معالمها للمرة الثالثة في الحروب التي

تشبت بين خلفاء الاسكندر المقدوني بعد وفاته . وعندما قسم قواد الفاتح العظيم ملكه الشاسع ، آلت بلاد الاردن الشرقية الى البطالسسة الذين تبوعوا عرش مصر ، واتخذوا الاسكندرية عاصمة لملكهم ، وهكذا جلست على عرش مصر أسرة غربية أخرى ، حكمت البلاد بضع مئات من السنين . وقد جعل بطليموس الثاني من الاسكندرية عروس حواضر الشرق ، تزهو بميادينها وشوارعها ، وبالمنازة القائمة على صخرة « فاروس » عند مدخل الميناء ، تلك المنارة التي عدت فيما بعد احدي عجائب الدنيا السبع

وجه بطليموس الثاني عناية خاصة الى «ربة عمون» فأعاد بناء أسوارها وقصورها على قمة الجبل، ومعابدها وهيكلها في الوديان، والملاعب الفسيح المنحوت في سفح تل صخري ؛ ثم أطلق عليها اسمه ، فعرفت منذ ذلك الوقت باسم « فيلادلفيا »

وفي اثناء زيارته للمدينة الجديدة اهدى اليه «سيور» أبو عمرة فرسين عربيين أصيلين ، فقبلهما بطليموس ؛ واصطحب معه الرجل وابنته الى الاسكندرية فأقاما فيها الى ان كان ما كان . . .

وعندما طلبت «عمرة» ان تعود الى شرق الأردن لتلحق من هناك ببنى قومه وتستعيد حريتها ، كان الملك يعد العدة لايفاد بعثة من عظماء الدولة في موكب كبير الى فيلادلفيا ، لاحياء الحفلات فيها أسوة بعواصم بقية الاقاليم الخاضعة له ، بمناسبة زواجه . فالتحقت عمرة بالموكب مزودة بالمال والهدايا



هبط سكان فيلادلفيا من أعالي الجبل الى قاع الوادي حيث أعدت العدة لإقامة المهرجان في الملعب الفسيح . فأخذ الحكام والقضاة والكهنة اماكنهم في الشرفة الاولى ، واعتلى الشعب المدرج فملاها على سعتها ، وانتشر الذين لم يجدوا لهم مكانا في الملعب على المشارف المجاورة ، وهي ستة تلال تحيط بالمدينة وتنساب بينها مياه الغدير العذبة ، مغردة على حصى الوديان ، ساقية انواعا عدة من الاشجار والرياحين . . . وجلست عمرة مع الجالسين في الشرفة الاولى مع رسل بطليموس ورجاله القادمين من مصر ، يتصدرهم رئيس تلك البعثة « فيليب القبرسي » القائد المحنك الذي تولى اخضاع القبائل في التخوم الشرقية .

وكان برنامج الحفلة رائعا . . . فقد تتابعت في حلبة الملعب جماعات من الموسيقيين والمغنين والشعراء والمنشدين، كل منهم يعزف على آلة او يترنم بأغنية ، او يتلو قصيدا او يرتل نشيدا ، وتشابك الراقصون والراقصات في حركات فنية بديعة على أنغام القيثارة والمزمار ، وتبارز ارباب السيوف والرماح فقتل منهم من قتل وجرح من جرح ، وتصارع المتصارعون ففاز منهم من فاز ، ونقل المغلوبون الى الخارج وقد تفككت مفاصلهم وسحقت عظامهم، وعرض المروضون كلابهم وقرودهم وحميرهم، وجاء رجل فينيقي بدب اسمر يلعب بالسيف والقرص ، وتبارى الفرسان

العرب على متون جيادهم الاصيلة التي حملتهم من بطن الصحراء للاشتراك في ذلك المهرجان .

وكانت خاتمة هذه المشاهد منازلة رجل افريقى لاسد هائج . فقد وقع ذلك الرجل في الاسر وهو على رأس عصا من المصوص عاثت في صحراء مصر فسادا فحكم عليه بالاعدام . ولكن الرجل اقترح أن يوضع وجهها لوجه مع الوحوش الكاسرة ، فاما أن تفرسه وينتهى الامر ، واما أن يتقلب عليها فيظل على قيد الحياة حرا طليقا . وانقضت ثلاثة أعوام على اقامته في الاسكندرية ، تقلب فيها على أربعة أسود ونمر وضبع وخمسة ذئاب . وأراد بطليموس أن يساهم قاتل الوحوش هذا في مهرجان فيلادلفيا فأرسله اليها مع بعثته ، ليصارع أسدا هائجا فيقتله أو يلقي في المصارعة حتفه !

نزل الرجل الى حلبه الملعب عارى الجسم لا يستتر عورته غير خرقه حمراء وفي يمينه خنجر صغير ، وقد لف ذراعه اليسرى بقطعة من الجلد المتين واطلق الاسد من قفصه الحديدى ، فاندفع في الحلبة نائرا مزمجرا ، وعلت أصوات المشاهدين داعية الزنجى الافريقى الى الحذر ورباطة الجأش ، وضاعفت الاصوات غضب ملك الغابات فارتفع زئيره المخيف وبعث الرعب في النفوس ، ورأى الزنجى يقترب منه مقلنا زئيره ، فضرب الأرض بذيله ، ونفض ذوابته ، ووثب نحو فريسته مكشرا عن أنيابه .

ولكن الرجل تلقى الصدمة بنزاعه اليسرى ، وجعل يلعب الاسد كما يلعب القط الفأر ، فكان المشهد هائلا لم تقع أعين سكان فيلادلفيا من قبل على مثله . وما هي الا دقائق معدودة ، حتى تمكن الرجل من تسديد طعنة من خنجره الى عنق الاسد ، فسال على الأرض دمه ، وبلغ هياجه مبلغا عظيما ، فدار حول الحلبة قفزا وعدوا ، حتى اذا ما وصل امام الشرفة الاولى حيث مندوب الملك وحاشيته تحفز فجأة ووثب وثبة زادا الألم قوة واندفاعا ، فبلغ حافة الشرفة وانشب مخالبه في صدر « عمرة » ولكنه لم يتمكن من التعلق بها فسقط على ظهره ، وكان الزنجى قد أسرع اليه رافعا خنجره فأغمدته في عنقه مرة ثانية فثالثة ، فلهث وتدفق الدم من فمه على حين وضع الزنجى قدمه على رأسه حتى أصبح جثة لاحرا كفيها ، وظل الزنجى على حسب الوعد حرا طليقا !

ولكن الذئير كان قد استولى على الناس فعلا الهرج وائرج ، ولم يصفق للفائز غير فريق من المشاهدين في حين كان الباقون يسرعون نحو الابواب طلبا للنجاة ، ظنا منهم ان الاسد قد تسيلق المدايح . وأحاط رفاق « عمرة » بالفتاة الجريح يحاولون مبادرتها بالاسعاف ، ووقف نزيف الدم من صدرها الذى مزقته مخالب الاسد !

لكن محاولتهم ذهبت سدى ، فقد أسلمت المسكينة الروح في زفرة تقطع الكبد . وماتت في اللحظة التي كان العملاق الافريقى يضرب فيها ضربته القاضية . فخرج الناس من الملعب واجمين ، وانتهى المهرجان بماتم مشى فيه فيليب القبرصى ، ووراء الكهنة وخادمت الهياكل وسكان فيلادلفيا حاملين المباخر والازهار ، فأودعوا « عمرة بنت سيور » العربية مرقدتها الاخير ، في ظل عريشة وارفة على ضفاف الغدير .

... مات الاسد ، ولكن بعد أن انتزع من الفتاة زوجها ، وبعد أن انتزع العبد الأفريقي حريته من بين مخالفه ا

ولكنها حرة لم ينعم بها المنتصر !

فقد مشى العملاق الأفريقي في جنازة الفتاة العربية • وبكى على قبرها مع الباكين • ولكنه لم يعد مع المشيعين بعد أن واروا فقيسدتهم بالتراب •

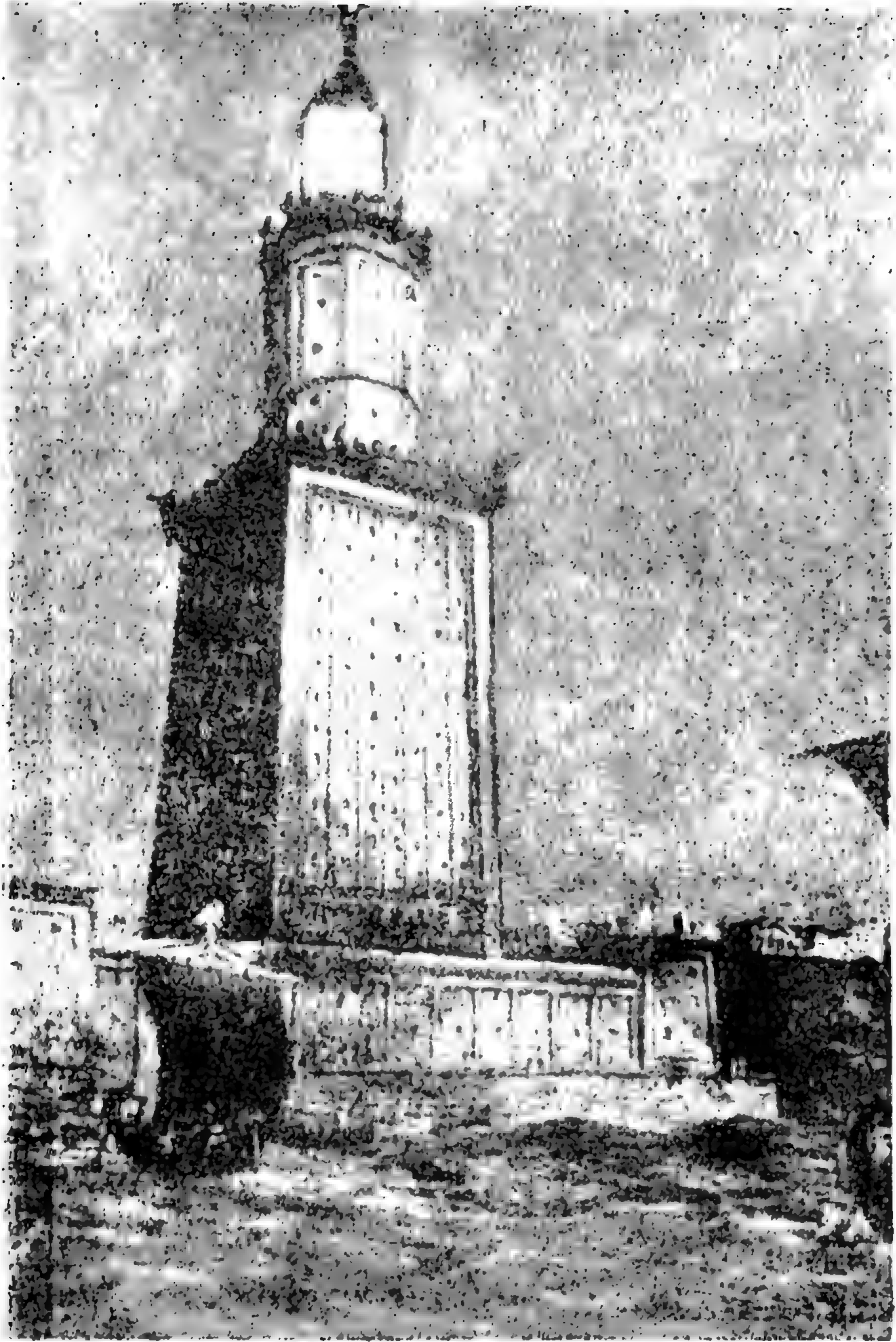
ففى صباح اليوم التالى - وجد العملاق ميتا على قبر عمرة • وفى صدره النصل الذى قتل به الاسد فى مهرجان فيلادلفيا •

لم تقتله الوحوش الكاسرة • وقتله منظر الفتاة الميتة • فانتحر اعتقادا منه أنه كان سبب موتها •

وفى السنة التالية • زار بطليموس الثانى المدينة التى تحمل اسمه • ووقف خاشعا على قبر ربييته العربية التى رحلت عن مصر للقاء ذويها ، فلقبت حتفها •

جَوَاهِر بَطَايِمُ

صندوق في مياه الاسكندرية ينتظر في قاعها
صاحب الحظ الذي قد يعثر عليه . ويستولى
على الكنز الذي فيه !



منارة الاسكندرية
احدى عجائب الدنيا السبع شيدتها البطالمة

كتب بطليموس الثالث ، ملك مصر الاغريقى : الى صديقه -
كليومينس ملك اسبارطة يقول :

« ردا على خطابك الذى تطلب الى فيه ان أنجلك بالمال والرجال ،
أخبرك بأننى أجيبك الى رغبتك وأبى نداءك . ولكننى أشرت عليك ان
ترسل الى من ناحيتك رهائن احتفظ بها مادام جنودى بعيدين عن وطنهم .
ولا أخالك عارضا فى ان تكون الرهائن أمك ووزجتك وأولادك . فابعث
بهم الى ، وفى اليوم الذى يصلون فيه الى الاسكندرية يبحر جنوده الى
بلاد الاغريقى . للانضمام الى جيشك ومحاربة أعدائك . وثق أننى دائماً
صديقك المخلص الأمين . »

واضطر كليومينس الى النزول على رغبته وقبول شروطه ، لان
الضرورة كانت ترضيه على ذلك

وبعد أسابيع ، وصلت الرهائن الى الاسكندرية ، وغادرها جيش
بطليموس فى اليوم التالى الى بلاد الاغريق

كان الاسبارطيون يعانون مشقات هائلة فى الدفاع عن وطنهم
بالرغم من أنهم كانوا رجال حرب وكفاج

وحاول كليومينس ، عندما وصلت اليه النجدة المرسلة من مصر ،
أن يستعيد المدن التى فقدها ، فكر على أعدائه مرة بعد مرة . ولكن
المقدونيين تغلبوا عليه وهزموه فى معركة سبلازيا سنة ٢٢٢ قبل
الميلاد ، فاضطر الى الخروج من وطنه هائبا على وجهه ، وطلب النجدة الى
ديار غير دياره .

فأبحر الى الاسكندرية ، عاصمة البطالسة فى ذلك الوقت ، ونزل
مع حاشيته ضيقا على صديقه وحليفه بطليموس الثالث .

ورحب به ملك مصر . وأعاد اليه أمه ووزجته وأولاده وأنزلهم
فى دار على شاطئ البحر ، وعلى مقربة من القصر الملكى

وكان بطليموس الثالث ملكا عادلا محبوبا من شعبه ، الذى أطلق
عليه اسم « المحسن » لأنه كان يعطف على الفقراء والموزين ، ويساعد
اليتامى والمساكين ، ويرغب فى أن يعيش الناس جميعا فى بحبوحة من
الهناء والسعادة .

وبطليموس الثالث هو الذى فتح سورية وآسيا الغربية وأعاد من بلاد
فارس الى مصر تماثيل الآلهة وأسلاب المعارك التى كان دارا وقمبيز قد
أخذها من وادى النيل عندما اجتاحت جيوشه .

وأمام باب السجن وجد بانتيوس جبيته الوفية في انتظاره، فتعانق الحبيبان وهمست ديمتريا في أذن الأسبارطي هذه الكلمات :

— بانتيوس : لقد ضمنت لكم الفوز بالمال بعد أن تستولوا أنتم اليوم على معقل الجنود . فقد أخذت من قصر الملك من الجواهر والحلى ما يكفي شراء شعب بأسره ، وإقامة دولة جديدة على انقاض دولة بائدة !

فطبع بانتيوس على جبين جبيته قبلة خارة ، وانطلق وانطلقت هي معه وراء الملك كليومينس في طلب الثأر !

ولكن الآلهة كانت تخارب الملك الطريد في أمانيه ، وتعاكسه في جميع أعماله ، فقد أبى سكان الأسكندرية ، وهم التجار الحريصون على أموالهم ومضاجعهم ، أن ينضموا إلى ذلك الغريب الثائر ، فتغلب رجال بطليموس على الأسبارطيين وقبضوا عليهم جميعا بعد أن سقط منهم من سقط في القتال وإعيدوا الواحد بعد الآخر إلى السجن .

وإدركوا أنهم هالكون لا محالة وكانت الفتاة ديمتريا بين الأسرى لأنها أبت إلا أن تظل مرافقة لحبيبها . فحاربت معه جنبا إلى جنب وآثرت دخول السجن مع من تحب على التمتع بالحرية بعيدة عنه

وعندما أغلقت وراء الأسرى أبواب السجن وقف الملك كليومينس في قومه خطيبا وقال :

— أيها الرفاق . لقد شامت الآلهة أن تلاقينا الهزيمة إلى النهاية ، وأن يقضي على أعز أمانينا فلا أرى الآن فائدة من البقاء على قيد الحياة ، بل أرى أن الموت خير لنا وأوفى ، فإن الملك بطليموس الرابع سوف ينكل بنا وينتقم منا ويلقى بنا إلى السباح فتفترسنا أو إلى الفيلة فتدوسنا بقوائمها ، أو يأمر زبائنه بذبحنا ذبح الانعام في هذا السجن المظلم ، إن لم يكن قد فكر من الآن في شد وثاقنا والقائنا في البحر من أعلى أبراج قصره . ولذا فانا أدعوكم جميعا أيها الرفاق إلى أن تقطعوا حبل حياتكم بأيديكم وأبدأ بنفسى فأغمد هذا الحنجر في صدري !

فتنهض بانتيوس وقال :

— أيها الملك المحبوب . لا أظن أحدا من رفاقنا يتردد لحظة واحدة في النزول على إرادتك والعمل بإشارتك ، فكلنا نرحب بفكرتك وخير لنا ألف مرة أن نموت منتحجرين من أن يمثل بنا جنود بطليموس فتموت كالصوص أو الجبناء ، غير أن إلى أمنية واحدة أرجو منك أن تصغي إليها .

— أن أمنيتك يا بانتيوس لقضية قبل أن تقضى بها التي فانت أوفى الإوفياء وأخلص المخلصين تكلم !

فطلب بانتيوس من كليومينس ألا يسمح للفتاة ديمتريا بأن تقدم على الانتحار ، لأنها ليست إسيلاطية ، ولأنه لاقدار وقعت بها إلى الاشتراك في تلك الحركة الثورية دون أن يحتم عليها الواجب الاشتراك فيها

ولكن الفتاة نهضت من مكانها وصاحت :

- بانتيوس ! ما كنت اظنك ايها الحبيب تقدم على امر من شأنه ان يلحق العار بمن تحب . لقد حاربت معكم وربطت حظى بحفظكم وحياتى بحياتكم ، فساموت اذن عند ماتموتون او ابقى على قيد الحياة اذا بقيتم احياء . غير اننى ارجب فى ان افضى الى الملك كليومينس بسر لم ابح به الا لك وحدك ايها الحبيب ، فاعلم ايها الملك الكريم اننى حملت معى عندما غادرت قصر الملك للالتحاق بكم ، صندوقا صغيرا يحوى ثروة كبيرة ، ذلك الصندوق هو الذى كان الملك بطليموس الرابع يحفظ فيه جواهر التاج والحجارة الكريمة والالاء النادرة التى يعتز بها البطالسة . وبين تلك الجواهر جوهرة جاء بها بطليموس الثالث « المحسن » من الشرق وكان دارا ملك الفرس يحلى بها تاجه . وقد القيت ذلك الصندوق فى مكان من البحر لا يعرفه سواى ، على امل ان يكلل النجاح ثورتكم فنتشل الصندوق من جوف اليم ونغترف من الجواهر ما يلزمنا لاقامة عرش جديد على انقاض عرش البطالسة ، واعادة عرش اسبارطة اليك ايها الملك . اما الآن وقد قضى على آمالنا وقررت انت وقررنا نحن ان نموت جميعا ، فان الكنز سيظل فى مكانه ولن يعلم احد اين دفنت جواهر بطليموس الرابع ملك مصر !

نفذ القوم عزمهم فانتحروا جميعا

وكان كل واحد منهم يغمد خنجره فى صدره دون ان تنبعث من ذلك الصدر صرخة ألم أو حسرة أو حشجة

وكان البادى بالانتحار الملك كليومينس نفسه وتبعه الآخرون وبقي بانتيوس واقفا فى مكانه ينظر الى رفاقه يتساقطون حولهم كسنا بل القمح

وكانت ديمتريا واقفة بجانبه ترمقه بنظراتها وخفقان قلبها يشتد لحظة بعد لحظة

وعند ما سقط الجميع على الارض تناول بانتيوس خنجره من غمده ورفع يديه الى السماء وقال :

- ايها الالهة ، يا آلهة اسبارطة ، اشهدى اننى لم اتردد قط فى التحاق برفاقى ، ولكننى اردت ان اثق من موتهم جميعا مخافة ان يبقى فى احد منهم رفق من الحياة فيعالجه اطباء بطليموس فيشفى من جرحه وبعد ان يعذبوه يموت بأيديهم !

وطاف بانتيوس على جثث رفاقه وجعل يطعن كلا منهم طعنة فى قلبه

وصل الى الملك فاذا به يتحرك فاكذب بانتيوس على يده يقبلها والحمد لخنجره فى الصدر الملكى !

وبعد أن أيقن الرجل أن الحياة قد فارقت جميع الجثث المبعثرة حوله،
قدم خنجره إلى حبيبته ديمتريا وأغمض عينيه ولم يفه بكلمة .
فأدركت الفتاة قصده ، وبأسرع من لح البصر أخذت الخنجر من
يده وأغمدته بين ثدييها

فانتزع بانتيوس ذلك الخنجر المخبى بدم حبيبته الوفية ، وطعن
نفسه الطعنة القاضية وسقط على الفتاة التي أحبها جثة هامة
وكان ذلك في سنة ٢٢٠ قبل الميلاد

بحث البطالسة كثيرا عن جواهر بطايموس الرابع ولكنهم لم يلقوا
لها على أثر . وبقي أمرها سرا من أسرار التاريخ يقترون في الاسكندرانية
يسر قبر الاسكندر ، منشئ المدينة العظيمة .

القَمِيصُ الأَبْيَضُ

كان الفراعنة والملوك البطالسة في مصر
يصنعون لأنفسهم ، ويهنون إلى أصدقائهم
قمصانا من خيوط القطن الأبيض ،
ويعدون منها أكفانا لارقدة الأخيرة . . .



القائد الروماني يوليوس قيصر

— على بالنساء جميعا : الوصيفات والساقيات والنديمات على
السواء ، فأننى فى حاجة اليهن يا شرميون : أرغب فى الافضاء على
مسامعهن بأمنية لا شك عندى فى أنهم سوف يساعدننى على تحقيقها ،
قبل رحيلى عن مصر بعد بضعة أيام

وأسرعت « شرميون » ، وصيفة كليوباترة ، الى تنفيذ أمر
مولاتها ، فنادت رفيقاتها وصويحباها من نساء القصر : ايينا ،
وهاستيا : ورينابوث ، وفوتينيا ، وايراس ، وغيرهن من مصريات
ويونانيات : فانتظمن فى حلقة زاهية ضاحكة ، على شرفة القصر المطلّة
على مياه البحر الزرقاء فى الاسكندرية ، حول كليوباترة المستلقية على
وسائد اريكتها ، فى ثوبها الشفاف ، وبجانبها الفهد الالىف الذى جاءها
به جنودها هدية من كهوف النوبة ، يوم وصول يوليوس قيصر الى
العاصمة المصرية

وقالت الملكة :

— اخوانى ، انكن احب الناس الى . يكن اوثق وعليكن اعتمد
فى السراء والضراء . وقد دعوتكن اليوم لأطعن على ما اعتزمته ، وأطلب
منكن تحقيق رغبة نبتت فى صدرى الليلة ، وأنا ساهرة فى مخدعى ،
فهل لكن أن تصفين الى وتجبيننى الى ما أريد ؟

فانطلقت من بين شفاه النساء الارجوانية كلمة واحدة ترددت
وتكررت كتفريد العصفير :

— نعم : نعم ، نعم ! . .

واستطردت كليوباتره تقول :

— لقد احببت قائد الرومان يوليوس قيصر العظيم : واحببني
قيصر كما تعاملني حبا جامحا قويا ، سيطر على أعماله كلها وملك قيادى
فخضعت له خضوع الأسير لأسره . ولكن القائد المحبوب بعيد عنا
الآن ، يواصل مطاردة خصومه والقضاء على منافسيه فى أطراف الدولة
الرومانية الشاسعة حليفتنا العزيزة . ومنذ أيام ، تلقيت منه خطابا
يدعونى فيه انى اللحاق به فى روما . ولا يسعنى الا أن أرضخ لأرادته ،
فهل تنصحننى بالذهاب ؟

وانطلق التفريد مرة اخرى من بين الشفاه الحمراء :

— نعم ، نعم ، نعم ! . .

وارتسمت على ثغر الملكة ابتسامة الرضا والارتياح ، وعادت
تقول :

— سأذهب اذن . وسأحمل معى كل ما يمكن أن تسعه السفينة من هدايا مصرية لقيصر المنتصر . غير أن هناك هدية ستكون على ما اعتقد أحب الهدايا اليه : فقد فكرت فى أن نصنع له قميصا من خيوط القطن المصرى البىضاء يرتديه تحت حلتة الرومانية الفضفاضة : فيفكر فينا كما تسربل به ، ويدكرنا كلما خلعه عن نفسه : ولكن أين هذا القميص أيتها الاخوات العزيزات ؟ ان الخيوط القطنية الرقيقة البىضاء لفى انتظار الأنامل التى تحوك سداها ولحمتها ! وقد أزف موعد الرحيل وسوف أبحر من الاسكندرية بعد ثلاثة أيام ! فهل أناملكن الناعمة على استعداد لصنع هذا القميص الناصع : قبل حلول الساعة التى تقلم فيها السفينة : من الميناء ؟

وللمرة الثالثة ، غردت الشفاه الحمراء :

— نعم ، نعم ، نعم ! ..

ونفضت كليوباترة فرحة مهللة :

— لنعمل اذن أيتها الصديقات الحبيبات ، وسوف تكون أنامل ملكتن أبعد الأنامل دقة ، وأكثرها سرعة ، فى حياكة اقميص المنشود !

فى ٩ من أغسطس سنة ٤٨ قبل الميلاد ، هزم « يوليوس قيصر » خصمه « بومبيوس » فى معركة « فرسال » ، ولحق به الى مصر حيث لجأ القائد الهارب الى الملك « بطليموس ديونيزوس » : فقتله انك وأرسل رأسه الى قيصر ليسترضيه . ولكن القائد العظيم هالته هذه الخيانة : فعزم على الاقتصاص من القاتل ، وانقسم المصريون الى فريقين ، وانتهى الامر بأن هلك « ديونيزوس » غرقا ، واجلس يوليوس قيصر على عرش مصر أخته كليوباترة ، وشاركها فى الملك أخوها الثانى « بطليموس الطفل » الذى عقد زواجه عليها : عملا بالتقاليد المتبعة فى ذلك الوقت !

وكانت الملكة فى الحادية والعشرين من العمر ، وكان الملك أخوها وزوجها فى السادسة فقط ، ولم تكن كليوباترة اطموح لتحسب حسابا لهذا الشريك فى عرش عولت على الاستئثار به دون أفراد أسرتهـ جميعا ، فاعتزمت منذ تلك اللحظة أن توقع الرومانى المنتصر فى حبال فرامها ، وأن تتحكم بقلبه ومن ثم بمصره ، ثم تتخلص بمساعدته من الاخ الصغير الضعيف !

ووقع يوليوس قيصر فى الشرك الذى نصبته له الحسناء المتوجة فاحبها ، وهو انكهل البالغ الثالثة بعد الخمسين من العمر ، وأصبح لا يطيق صبرا على فراقها

ولبست الاسكندرية ، بأمر من الملكة ، حلة الأفراح والاعیاد ، وشاهدت تلك العاصمة المصرية ، التى اتخذها القائد الرومانى الكهل ، وكليوباترة الصبية ، مسرحا لغرامهما العجيب ، بأروع مظاهر اللهو ، وأبهج الليالى الملاح ...

ولكن القائد اضطر اضطرارا الى الرحيل عن مصر لمواجهة الاخطار
المحدقة ببلاده ، وقمع الثورات القائمة في بعض اقاليمها ، فعز عليه
الفراق ، وأوفد الرسل بعد الرسل الى حبيبته البعيدة ، لتلحق به في
روما عاصمة الامبراطورية .

أبحرت كليوباترة ملبية نداءه ، في سنة ٤٥ قبل الميلاد ، بعد أن
تخلصت من أخيها الزوج بالسسم ، وجعلت وليا للعرش طفلا «قيصرون»
ثمرة غرامها ابروماني ، حاملة معها الهدايا الثمينة ، ومن بينها القميص
الابيض ، الذي حاكته أناملها وأنامل وصيفاتها من خيوط القطن المصري
في ثلاثة أيام !

— انها لهدية ايها الحبيب سوف تذكرك بالحبيبة في صحوك وفي
نومك سواء أكانت كليوباترة بجانبك أم بعيدة عنك ، لان هذه الهدية
ستلازمك أكثر من ظلك ، فتلامسك وتلامسها في الليل والنهار !

وعانق يوليوس قيصر كليوباترة وقال بصوت تخنقه العبرات :

— وأنها أيتها الحبيبة لأعز الهدايا لدى . فسوف ألبس هذا
انقميص الذي ساهمت أناملك في حياكته ، وأباهي به ، وأعده ليكون
لي في نهاية العمر كفنا يلفني في طريقى الى العالم الآخر !

ونزلت ملكة مصر في قصر أعده لها سيد روما على ضفاف نهر
التبر ، وأراد أن يحاكي البدخ فيه بدخ القصور المصرية على شاطئ
الاسكندرية وضفاف النيل ، وشاهدت العاصمة الكبرى بدورها —
وقد اتخذها القائد الروماني الكهل ، وكليوباترة الصبية ، مسرحا
لغرامهما

وخيل لهما ان الدهر لا يعد لهما غير السعادة والهناء ، وفاتهما
أن الدهر غادر لئيم ، وأن السعادة لا تدوم ، والهناء لا بد أن يتبعه
شقاء !

في الخامس عشر من شهر مارس سنة ٤٤ قبل الميلاد ، ذهب
يوليوس قيصر كعادته الى مجلس اشيوخ الروماني ، وقد أعد عدته
لمواجهة الحملة التي قيل له أن خصومه من أعضاء المجلس سوف
يشنونها عليه ، لحاسبته على أعمال القسوة التي ارتكبها ضد الشعب ،
وعلى الانحلال الخلقي الذي يبدو منه ، في سلوكه مع الملكة الغريبة التي
نسى واجبه بسببها

ولما هم بدخول قاعة المجلس ، دس رجل مجهول في يده ورقة
منطرت فيها كلمات التحذير من مؤامرة دبرت لاغتياله . ولكن القائد
المتكبر لم يأبه بالتحذير ولم يكثرث ، ووقف صامدا متعجرفا يرد على
التهم ويفندها ، حتى اذا ما اقترب منه المتآمرون وأحاطوا به ، وقدموا
اليه عريضة يطلبون فيها العفو عن الاشخاص الذين اعتقلهم أو أطلق
زبائنته في أثرهم للقضاء عليهم ، صاح قيصر بهم قائلا :

« لن أعفو عن أحد ، وسوف يلاقى كل متآمر عنيد جزاءه ! »
حينئذ ، لمعت في أيدي المتآمرين النصال ، وانهاشوا بها على
يوليوس قيصر ، صائحين : « مت اذن يا طاغية روما وظالم الرومانيين ! »
وسقط يوليوس قيصر على الأرض والدماء تنهمر من جراحه !
وأسرع أصدقاؤه وأعوانه لنجدته ، ولكنهم وصلوا اليه بعد
فوات الوقت ، فرفعوا عنه الحيلة الرومانية ، واذا بهم أمام جثة
هامدة ، مزقت النصال صدرها ، ومزقت معه القميص المصرى الأبيض ،
الذى أهدته اليه كليوباترة ، والذي أصبح له كفنا لفه في طريقه الى
العالم الآخر !



ومن يدري هل الملكة الضالة لت تصنع لهذا الاخير ما صنعتها
الوصيفات وملكتهن كليوباترة من خسيوط أنقطن البيضا في
الاسكندرية ، وعادت كليوباترة الى عاصمة ملكها حزينة حائرة ، ولكن
حيرتها لم تطل ، فقد أوقعت في حبائلها القائد اندى حل بعد يوليوس
محلها في الشرق : « ماركوس انطونيوس »

أما قيصرون ، ابن القائد الصريع : فقد كتب له أيضا أن يموت
قتلا مثل أبيه ، بأمر من أوكتافىوس ، في سنة ٣٠ قبل الميلاد ، وهى
السنة التى انتحر فيها انطونيوس وانتحرت فيها كليوباترة !

ومن يدري هل الملكة الضالة لم تصنع لهذا الاخير ما صنعتها
ليوليوس قيصر : قميصا ناصع البياض من القطن المصرى ، فكان
لانطونيوس الفاسق كفنا ، كما كان من قبل لقيصر الطاغية كفنا !

مصيف المحبين

يسرح المصطافون في رمل الاسكندرية ويمرحون
ويداعب بعضهم بعضا على شاطئ البحر فهل
يعلمون أنهم يجوسون بين صخور وتلال لجأ
اليها من قبل أبعد المحبين صيتا ، وأعظم
المحبات شهرة وجمالا ، وسحرا ودلا ؟ ..



انطونیوس

اقتسم القائدان الرومانيان أوكتافىوس وأنطونيوس العالم المعروف في ذلك الوقت بينهما قسمة حق وانصاف ، فكان الغرب من نصيب الأول : وكان الشرق من نصيب الآخر

وأقامت سفن أنطونيوس ومراكبه الى شواطئ افريقية والشرق الأدنى لتثبيت سلطان روما في الاقطار والامصار وفرض الجزية على المتمردين من الملوك والامراء .

وأقام أنطونيوس في سورية وطلب الى كليوباترة ملكة مصر أن توافيه اليها فابحرت في أسطول صغير لم يشهد العالم أسطولا يحاكيه بهاء وبذخا ورونقا . وكان ما كان من لقاء وحديث ، وسهام تنطلق من عينيها لم يضع الخالق في وجه انثى أجمل منهما ، ودلال جدير بربة الدلال في ذلك العصر ، وغرام بدا امام أمواج البحر المتوسط في سورية ، وانتهى امام أمواجه في مصر !

عادت كليوباترة ادراجها الى الاسكندرية ، تاركة وراءها رجلا صعقه جمالها وأسرته حبها ، فلم يطق صبرا على الفراق ، وما كادت المرأة الساحرة تصل الى عاصمة ملكها ، حتى كان المحب الولهان قد تبعها اليها

وكان ذلك من شتاء سنة ٤١ الى ٤٠ قبل الميلاد ، فقضى أنطونيوس في ضيافة ملكة مصر بضعة أشهر ، ارتبطا معا بقيود لم تعد هناك قوة غير قوة الموت قادرة على ازالتها

وعند ما اقبل الصيف بشمس المحرقة وقيظه المزعج ، قالت كليوباترة لأنطونيوس :

— أين تقضى الصيف ايها الحبيب ؟

فاجاب القائد ، وقد تذكر واجبه العسكرى ومهمته الرسمية :

— كان بودى أن اقضى الحياة معك فلا افارقك لحظة واحدة ، ولكن روما تنتظر من فتاها أن يضيف صفحة جديدة الى صفحات تاريخها المجيد ، فأزحف بجيشي الى بلاد الفرس لاختضاع البقية الباقية من شعوب الشرق ، وبعد ذلك فقط أعود اليك أيتها الحبيبة

— ليكن ، غير أنني أرغب اليك في أن تختار بنفسك المكان الذى تريد ان يقام فيه القصر الصيفى الذى عزمت على تشييده في ضواحي العاصمة ، لكي تأوى اليه في أيام القىظ !

وخرجت الملكة ذات يوم متنكرة في صحبة القائد وقد تنكر أيضا ، الى تلك الضواحي التى كان العظماء وأرباب المال يقيمون في قصورها ، يعيدون عن ضوضاء العاصمة وأعين الرقباء

وكانت تلك الضواحي تمتد الى الشمال الشرقى من المدينة واشهرها ضاحية نيكوبوليس التى تتخللها البساتين والحدائق وتختبىء دورها بين الاشجار الكثيفة الوارفة الظلال

وكانت وصيفتا كليوباترة ، ايراس وشرميون : تملكان معا دارا صغيرة فى تلك الضاحية ، قائمة على صخور الشاطئ ، شسيداتهما الوصيفتان بأموال سيدتهما ، فكانتسا تقيمان فيها يوما أو أكثر فى الاسبوع ، كلما سمحت لهما كليوباترة بالتفريب

وكانت الوصيفتان تحبان شقيقين ، يدعى أحدهما ماركوس والآخر سيلفيوس ، الحقهما أنطونيوس بحرسه الخاص ، فعلق قلباهما بحب الفتاتين اللتين اختارتهما حبيبة سيدهما لخدمتهما وملازمتها فى الليل والنهار

وضمعت ايراس وشرميون دارهما فى نيكوبوليس تحت تصرف الملكة والقائد الرومانى ، فقصيا فيها شهرا : بعيدين عن الناس ، فى عزلة تامة عن العالم ، وقد أقبل كل منهما على الآخر بكلية

كان ذلك أول صيف يقضيه أنطونيوس فى مصر ، فأعجبته ضاحية نيكوبوليس ، وراقه المنزل الصغير الذى آوى اليه مع حبيبته ، وافضى إليها برغبته فى أن يقضى فيه أسابيع بل شهورا أخرى اذا سمحت الظروف .

وقالت كليوباترة :

— عند ما تعود إلينا قريبا من رحلتك الموفقة أيها الحبيب ، ستجد هذه الدار معدة لاستقبالك ، جذيرة باقامتك فيها !

سار أنطونيوس الى الشرق على رأس جيشه لمحاربة الفرس وغيرهم من الشعوب العاصية ، وكان ذكر كليوباترة التى سحرته بحبها يملأ قلبه ويحول أحيانا دون محافظته على التوازن فى ميادين القتال وساعات الخطر ، فلم يوفق فى تلك الرحلة العسكرية كما كان يرجو . وأخيرا أمر جيشه بالارتداد وعاد أدراجه الى مصر

فوجد الدار على غير ما كانت عند ما ودع حبيبته فيها . فان كليوباترة عهدت فى أثناء غيابه الى كبار المهندسين فى عاصمة ملكها ، فى هدم المنزل الصغير وتشبيد قصر على أنقاضه ، يكون أهلا لسكن الضيف العظيم

وقامت الدار الجديدة فكانت جنة فيحاء ، فرشت حجرها بأفخر الرياش ، وغرست فى حديقتها الأزهار من كل نوع ولون ، وعزلت من المنازل القسرية بحيث أصبحت فى مأمن تام من أعين المتطفلين : ونصبت فى حديقتها وعلى مدخل قاعاتها التماثيل :

ووصل أنطونيوس الى الاسكندرية فقادته كليوباترة فى الحال الى القصر

فطوق أنطونيوس عنقها بدراعيه ، وقال في اندفاع الحب الذي
انساه الحب أقدر واجباته وحجب عنه المخاطر المحدقة به :
- سوف أنصرف بكليتي الى عبادتك هنا يا كليوباترة يا « سيدة
الجميع »

وانغمس الحبيبان منذ ذلك اليوم في خضم الملذات ، وترك
الأقدار تسوقهما الى النهاية التي تريد ، لا يدركان من حياتهما غير
الساعة التي يعيشان فيها ، ولا يفطنان الى ما كان أعداؤهما يدبرونه
لهما من مكائد

* * *

وفي ذلك القصر تبادل الحبيبان جميعا الأقسام المغلظة بأن
يظلا على الوفاء مقيمين

وهناك أقسمت كليوباترة وأقسم أنطونيوس ألا يظل أحدهما على
قيد الحياة اذا امتدت يد الموت قبله الى الآخر

وهناك أعلن القائد الروماني عزمه على الزواج بكليوباترة ، بعد
أن طلق زوجته الرومانية أوكتافيا ، فكان اعلانه هذا بمثابة خروج على
وطنه وأهله

وقد وقع ذلك كله في سنة ٣٦ قبل الميلاد ، فكان بدء الصراع بين
أنطونيوس حبيب كليوباترة والقسايس على الشطر الشرقي من
الامبراطورية الرومانية ، وأوكتافوس : شقيق زوجته المطلقة ، وسيد
الشطر الغربي من تلك الامبراطورية

جعل كل من الخصمين يعد العدة للمعارك القادمة ، وكل منهما
يعلم أن انهزامه معناه الموت المحقق . وظل أنطونيوس وكليوباترة في
أثناء ذلك يأويان في الصيف الى ذلك القصر في نيكوبوليس ، كأنهما قد
أدركا أن الوداع قريب وأن تنفيذ القسم الذي قطعاه على نفسيهما
أوشك أن يآزف

وفي أوائل سنة ٣٢ قبل الميلاد ، أطلقت الحرب بين العدوين
الرومانيين من عقابها ، ووضع كليبواترة أسطولها تحت تصرف
الحبيب الذي خاضم عشيرته ووطنه من أجلها

* * *

كان يوم ٢ من سبتمبر سنة ٣١ قبل الميلاد يوما من أيام التاريخ
المشهودة . ففيه وقعت معركة أكثيوم البحرية بين السفن الرومانية
الغربية بقيادة أوكتافوس ، والسفن الرومانية الشرقية وقد انضمت
اليها السفن المصرية بقيادة أنطونيوس

وأرادت كليوباترة أن تشهد المعركة بنفسها ، فالتحقت سفينتها
بالأسطول المحارب . ولكن ، لسبب ما ، دب الرعب في نفس الملكة ،
فأصدرت عند ما خمي وطيس اقتال امرها الى ربان السفينة بأن يدير
دفعتها الى شواطئ مصر ويهرب بها من حومة الوغى !

وفي لحظات معدودات ، كان الاسطول المصرى كله قد ابتعد
بوجهته الاسكندرية !

فضاع صواب انطونيوس ، وفر من الميدان ، وصعد الى سفينة
كليوباترة ! تاركا أسطوله لقمة سائغة لعدوه !

وسجل التاريخ في ذلك اليوم حادثا من أروع حوادثه : حادث
جشيع ملك كامل ، وشرف عسكري كان تقيا ، وسلطان لم يكن يعادله
في العالم سلطان ، في سبيل امرأة !



كان في وسع انطونيوس أن يستعد للدفاع في الاسكندرية وأن
يحتفظ بجزء من امبراطوريته الواسعة ، وكان في وسع كليوباترة أن
تشد أزره في ذلك وتحتفظ بعرش تبواه آباؤها وأجدادها مدة ثلاثة
أجيال كاملة . ولكن الحب كان يعمى الرجل والمرأة الى حد غفلا معه
عن الحقائق والوقائع . فما بلغت بهما السفن أرض الامان على شواطئ
مصر ، حتى عادا الى الانغماس في ملذاتهما أكثر من قبل !

أثر انطونيوس وكليوباترة قضاء أيامهما ولياليهما في القصر بدل
أن ينصرفا الى أعداد الحصون والأسوار للدفاع . وجمع القائد
الروماني حوله عصابة من الشبان والشابات أطلق عليها اسم « الذين
عولوا على الموت معه » وراح يبحث عن المساوي والعزاء عن انهزامه ،
بين ذراعى حبيبته وفي أقداح انشراح !

وقضى انطونيوس وكليوباترة فصل الصيف في نيكوبوليس .
شهدت نيكوبوليس بزوغ الحب بين الملكة والقائد ، وشهدت أيضا
قرب ذلك الحب

ونظر الشعب الى ذلك كله نظرة ملؤها الدهشة والتساؤل ،
وأطلقوا على الضاحية التي شهدت فصول تلك المأساة العجيبة اسم
« مصيف المحبين »

وجعلت كليوباترة تتفنن في اقامة المآدب وطابت من الطهارة أن يعدوا
لها الأطعمة النادرة ، ومن الساقين أن يجيئوا لها بالذخمو وأعتقها .
وكانت تشرب مع الحبيب في قدح واحد ، بعد أن تذيب فيه أولوة من
الآلىء عقدها ، لكي تزيد انخمر طعما . ! .

ولكن تلك الحياة الجنونية لم تدم . فان روما كانت قد عازمت
على التخلص من القائد المتمرد الخارج على ارادتها ، ومن الملكة التي
كان جمالها سببا لتمرده وخروجه

وأدركت كليوباترة انها هالكة وأن ذلك الصيف الذي تقضيه في
نيكوبوليس لن يعقبه صيف آخر ، فجعلت تعد لنفسها قبرا لاثقا بها

شيد ذلك القبر في معبد ايزيس بالاسكندرية ، وعند ما وصلت
جيوش أوكتافيوس الى مصر ، حبست الملكة نفسها في القبر وسدت
النافذ التي تؤدي اليه

وكان ما نقله الينا التاريخ من انهزام انطونيوس ، وبلوغه خبر موت
حبيبته ، وانتحاره ، ثم معرفته ان كليوباترة لا تزال حية في قبرها ،
وحمله اليها ، وموته بين يديها ، ثم انتحارها بلسعة الحية ، ونزول
الستار على الفاجعة !

بر انطونيوس وكليوباترة بالقسم فمات الاثنان ولم يطق احدهما
الحياة بعد ذهاب رفيقه

كانت صاحبة نيكوبوليس ، التي سماها سكان الاسكندرية في
عهد كليوباترة « مصيف المحبين » والتي شيدت فيها الملكة قصرها بين
المكان المسمى الآن « بولكلى » والمكان المسمى « سان استفانو »

وقد مرت الاجيال والمصطفون مازالوا يفدون على شواطئ البحر
بين المكانين ، والمحبون مازالوا يتبادلون الهوى امام الامواج والصخور ،
فليذكروا ان « مصيف المحبين » كان يمتد على تلك الشواطئ ، وان
ربة الحسن والدلال ، وسيدة النساء المحبات ، كليوباترة ملكة مصر
امضت في ذلك المكان ، اطيب ساعات حياتها .

محتوقة كايو باترة

ما أكثر المآسى الصغيرة المتفرعة عن المأساة
الكبرى ، التى عاشتها ملكة افتدتها حبها الأعمى
عرشا كان يوسعها أن تحتفظ به ، لو عرفت
كيف تتحكم فى قلبها *



انتظار كليوباترة

أشارت كليوباترة الى الاماء والعبيد بالانصراف ، فسجدوا الى الارض في حضرتها ، ثم تواروا وراء السجف والاعمدة والجدران ، وبقيت ملكة مصر الفاتنة مع وصيفتها المعتوقة سيدونيا ، في القاعة الواسعة الارزاء .

وقالت كليوباترة :

— لقد مللت الانتظار ياسيدونيا ، وضاق صدى ولم أعد قادرة على الاحتفاظ بالسر الذى أكتمه عن الجميع !

فقبلت الفتاة يد مولاتها ومالت برأسها على ركبة كليوباترة وقالت :

— أى سر تعنين أيتها الملكة السعيدة ؟ أسمحين لهذه الأمة الطائعة ، والخادمة الامينة ، المدينة لك بالحياة والحرية ، بأن تستطلع مكنونات صدرك وتخفف ان استطاعت من كآبتك ؟

— اننى أحبك كثيرا ياسيدونيا ولا أخالك تشكين فى عطفى . فقد اطلقت حريتك ، وحطمت قيود الدل والعبودية التى ورثتها عن أبىك وأمك . فأصبحت منذ سنة كاملة معتوقة حرة طليقة . شأنك فى هذا القصر وفى هذا البلد شأن الاحرار لا شأن الاماء والعبيد . وقد رغبت اليك فى اختيار الرجل الذى تريدنه زوجا لك ، فان وقع اختيارك على أحد الجنود أو على رجل من رجال القصر فهو لك وانت له ، وان وقع اختيارك على أحد العبيد فاننى أعتقه كما أعتقتك ويصبح لك وتصبحين له !

— نعم يامولاتى ، هذا ماسمعه منك مرارا . وقد أفضيت اليك بأمنيتى منذ أيام وقلت لك اننى أختار النوتى « هامو » زوجا لى .

— ان هامو عبد أسود . أرسله الى أحد أمراء الاحباش هدية من لدن زوجته ، فاستخدمته فى السفن الحربية الراسية فى ميناء الاسكندرية وقد أجبته الى رغبتك ، وحققته أمنيتك ، فمنحت هامو الحرية وأصبح منذ أيام معتوقا مثلك . فهل أنت سعيدة ياعزيزتى ؟

— اننى سعيدة يامولاتى . ولكن سعادتى لن تكون كاملة الا اذا رايتك أنت سعيدة فرحة راضية !

فأمسكت كليوباترة عن الجواب ، ووضعت يدها على رأس سيدونيا المعتوقة المخلصة المحبوبة ، فرفعت الفتاة نظرها ، وراة دمعين تنحدران من مقلتى الملكة على خديها الورديين . فقالت بصوت مضطرب :

— مولاتى ! ما بك ؟

فأجابتها الملكة :

— تذكرين ياسيدونيا ذلك القائد الروماني الشاب . الذي رافقني الى الاسكندرية ، ثم رحل عنا على رأس جيشه اللجب لفتح الامصار واخضاع الممالك وضم بلاد مادي وفارس الى املاك الرومانيين ؟

— ماركوس انطونيوس ومن منا لا يذكره يا مولاتي . ونحن نعلم انه اصاب حظوة لديك ، وان قلبك يخفق بحبه ، ويطير شعاعا عليه ، وانك ترقبين عودته على احر من الجمر !

— لقد طالت غيبته ياسيدونيا . واعلمى مالا يعلمه الآن سوى في هذا القصر : ان ماركوس انطونيوس سيهجر زوجته الرومانية اوكتافيا ويحلني محلها . وسوف نجلس معاً على عرش واحد ، يخضع لصولجانه الشرق والغرب !

— ارجو ان تحقق الآلهة آمالك يامولاتي !

ولكن انطونيوس ابطأ في العودة وهذا ما يثير شجونى ويبعث القلق الى نفسى . انى اخاف عليه عادات الزمان ومكايد الانسان . فارفعى معى اكف الصلاة للآلهة ، ولنضرع اليها طالبين منها ان تحرس انطونيوس في غزواته وحروبه ، وفي كره وفره ، وفي ذهابه وأوبته !

وسجدت كليوباترة وسجدت سيدونيا . وارتفع صوت المراتين في سكون الليل صاعدا الى مقر الآلهة مسيرة الاقدار ، والقابضة على مصير الاخيار والاشرار .

هجر انطونيوس زوجته اوكتافيا وتزوج كليوباترة . ولكنه لم يجرؤ على المجاهرة بذلك ، واعلان نياً هذا الزواج في روما ، خوفاً من هياج الراى العام عاياه ، وانصراف الانصار والاعوان عنه .

وكان خصمه وغريمه اوكتافيوس ، شقيق زوجته اوكتافيا ، يسعى الى هلاكه بجميع الوسائل المتوافرة لديه ، انتقاماً لأخته من ناحية ، وطمعاً في الاستئثار بالسلطة دون انطونيوس من ناحية اخرى . فجعل هذا العدو العنيد يعمل على حمل انطونيوس على المجاهرة بأمر زواجه ، والاعتراف أمام الرومانيين بأنه هجر زوجته الرومانية الاصيله لكى يحل محلها الملكة الاغريقية المصرية .

وسعت كليوباترة من ناحيتها الى حمل انطونيوس على اعلان خبر زواجهما ، لكى تبرر موقفها أمام رعيتهما . فاضطر القائد الشاب في النهاية الى الخضوع لاحكام الضرورة القاضية .

وفي سنة ٣٦ قبل الميلاد ، اذاع انطونيوس في طول البلاد وعرضها من اطراف مصر الى تخوم الدولة الرومانية ، انه أصبح زوجاً لكليوباترة ملكة مصر ، وأن كليوباترة حلت بجواره محل زوجته المهجورة الرومانية اوكتافيا .

ومنذ ذلك الوقت جعل الرومانيون ينظرون اليه بعين الحذر والفدر ، نظرهم الى روماني عاق خائر النفس ، ويلتفون حول أوكتافيوس الروماني البار المخلص الامين .

وأعمى الحب بصر أنطونيوس وبصيرته ، فلم يدرك الخطر الداهم الذي بدأ يحدث به منذ تلك الساعة التي اذاع فيها ما أذاعه .

وبعد مدة قصيرة ، أمام الجموع المحتشدة في ملعب الاسكندرية ، نادى ماركوس أنطونيوس الروماني بكليوباترة ملكة على مصر وقبرص وأفريقية وسورية . وأشرك معها في الملك الفتى قيصر ابنها من يوليوس قيصر .

وكان قد استولد الملكة طفلين . فتنادى بأحدهما ملكا على ارمينيا وبارتيا ومادى . وبالأخر ملكا على فينيقية وليبيا وقيليقيا ...

فكان جواب روما أن انعقد مجلس الشيوخ فيها ، وأعلن على الملا أن ماركوس أنطونيوس « خائن للوطن » .

وكان ذلك الاعلان نذيرا بالنهاية التي ختمت بها فيما بعد حياة المحبين .

وبدا القتال بين أنطونيوس وأوكتافيوس في سنة ٣٢ قبل الميلاد..

* * *

أحيث كليوباترة حفلة زفاف رائعة ، دعت اليها حاشية القصر والاسر الشريفة في الاسكندرية ، وأعلنت فيها زواج وصيقتها المحبوبة ، سيدونيا الجميلة ، وقدمت للمدعوين الرجل الذي وقع عليه اختيار الفتاة : هامو العبد الحبشي ، الذي رفعته الملكة بارادتها السامية الى مصاف الاحرار والنبلاء .

واراد أنطونيوس من ناحيته أن يكافئ معتوقة حبيبته على اخلاصها وتفانيها في خدمة كليوباترة . فعين زوجها الاسود قائدا لاجدى السفن الحربية الرومانية التي جاء بها الى مصر .

وكان أنطونيوس يدعو زوج سيدونيا الحبشي الى كل حفلة يقيمها في القصر . وكانت كليوباترة لا تبدو على سريرها أمام الناس ، ولا تأوى الى خدرها طلبا للراحة الا والمعتوقة الجميلة بجانبها .

وكانت سيدونيا واسعة الحيلة ، تميل دائما الى المزاح ، وتبتكر لسيدتها وسائل اللهو والتسلية في ساعات الملل والضجر ، أو تبحث لها عن منافذ للخروج من المآزق الصعبة ، في الازمات النفسية أو السياسية قالت لها كليوباترة ذات يوم :

— حدث امس ياسيدونيا أن دعاني أنطونيوس الى نزهة على شاطئ البحر في حديقة القصر . فلييت الدعسوة وطفنا معا في أرجاء الحديقة . وجاسنا على ذلك النتوء البارز فوق المياه ، والذي تتكسر عليه الامواج المزبدة . وهناك كاشفني أنطونيوس بأمر فوجئت به :

كاشفتني بالشكوك التي تخالج صدره من ناحيتي . فهو يعتقد أنني
أرغب في التخلص منه بأن أؤس له السم في الطعام والشراب . أن
أعداءنا ياسيدونيا يحاولون بجميع الوسائل والطرق أن يفرقوا بيني
وبين زوجي ، وأخشى أن تدب بيننا العقارب ، وأن ينتهي حبنا الجميل
بفاجعة تنهار معها سعادتنا .

— ينبغي يامولاتي أن تنظري إلى الحقائق ، وأن تكوني دائما على
حذر ، فإن روما تعرف كيف تنتقم من الذين يسئون إليها . وقد
أساء إليها أنطونيوس أساءة عظيمة . ولكن مصيرك مرتبط الآن بمصير
ولابد من الاحتفاظ به ، وتغذية الحب في صدره ، وحمله على أن يضع
فيك ثقته العمياء بلا قيد ولا شرط .

— وكيف السبيل إلى ذلك ؟ أن ما أفضى به إلى أنطونيوس أمر
جعلني أفطن إلى أمر لم أفطن إليه من قبل . أما رأيت أنه ، في الولائم
والحفلات ، يتجنب دائما أن يمد يده إلى لون من الأطعمة قبل أن أسبقه
إليه . ولا يتناول شرابا إلا من الكأس التي أشرب فيها ؟ أنه يخشى السم
ويخيل إليه أنه في كل طعام وفي كل شراب .

— مولاتي . سوف نلقى غدا على زوجك الروماني درسا يعلم منه
أن أشد النساء غباء في استطاعتها أن تخدع الذكي الرجال وأبعدهم
أدراكا ...

* * *

جلس أنطونيوس كعادته كل يوم ، مع زوجته كليوباترة على
الشرفة الفسيحة المطلة على البحر ، أمام مخدع الملكة ، وحمل العبد
إليهما ألوان الطعام وأقداح الشراب .

... فأكلا وشربا ...

وكانت كليوباترة تتناول ألوان الطعام الواحد بعد الآخر . فتأكل
منها وتقدم لزوجها . ثم تتناول الأقداح فتشرب وتسقى أنطونيوس .
وبعد أن سكر الاثنان ، أخذت كليوباترة بيمينها كأسا تفيض
بالخمر ، وتجرعت نصفها دفعة واحدة ، ثم نثرت فيها أوراق وردة
حمراء كانت تحملها في شعرها ، وقدمت الكأس للحبيب العزيز .

فتناول أنطونيوس الكأس من يدها ورفعها إلى فمه وهم بشربها .
فصاحت كليوباترة ممسكة بيده :
— لا تشرب يا أنطونيوس ! أعد التي هذه الكأس .

فأعادها أنطونيوس وقد ارتسمت على وجهه أمارات الدهشة .
ونظر إلى كليوباترة وهو لا يدرك معنى ما تفعل ...

وقالت الملكة :

— سيدونيا ... خذي .

فأخذت سيدونيا الكأس من يد مولاتها . ونادت أحد العبيد
وامرته باسم الملكة أن يشرب ...

أطاع الرجل صاغرا امر كليوباترة ...

وبعد دقائق معدودة ، سقط على الأرض وفارقت روحه الجسد .
فطوقت كليوباترة عنق انطونيوس بذراعيها وقالت وهى تغمر
رأسه بالقبل :

— أيها المجنون الاعمى ! لو أردت التخلص منك ماعدت حيلة
لدى السم لك فى الطعام والشراب ولو بوردة كهذه .

فأدرك انطونيوس أن الوردة مسمومة . وان زوجته ارادت أن
تلقى عليه درسا وتبدد شكوكه بذلك الدرس .

وفى اليوم التالى قالت كليوباترة لسيدونيا :

— لقد نجحت حيلتك أمس ، وكان الدرس رائعا قاسيا .

دارت رحى الحرب بين العدوين اللدودين أوكتافىوس وانطونيوس
وسعى كل منهما الى القضاء على الآخر والاستئثار بالسلطان فى الشرق
والغرب .

وفى ٢ من سبتمبر سنة ٣١ قبل الميلاد التقت سفن أوكتافىوس
بسفن انطونيوس وكليوباترة فى مياه «أكثيوم» على الساحل اليونانى .
وبدأت المعركة ...

واذا بالسفن المصرية تقلع فجأة بعيدا عن دائرة القتال ...

واذا بالسفن الرومانية الموالية لانطونيوس تتبعها وتفر فى الزهراء .

واذا بذلك اليوم المشهود يفتح امام أوكتافىوس باب المجد على
مصرعيه .

واذا بكليوباترة ، بين يوم وليلة ، تنقلب على زوجها انطونيوس ،
تقيم فى سبيله العراقيل وتنصب له المكاييد .

كانت تلك اليونانية الساحرة الفاتنة التى تبوات عرش مصر ، قد
خدعت من قبل يوليوس قيصر العظيم وأوقعته فى حبها ثم خانت عهده

وخدعت بعده انطونيوس وأوقعته فى حبها ثم خانت عهده أيضا .

وجعلت تفكر بعد أن ثبت لها أن أوكتافىوس منتصر وانطونيوس
منهزم بلاشك أمام خصمه ، فى اغواء هذا الخصم والتسلط عليه .

وأدرك انطونيوس الحقيقة المرة ، ولكن بعد فوات الوقت ..

مرت سنة كاملة منذ اليوم الذى انهزمت فيه سفن كليوباترة وانطونيوس بلا قتال فى اكتوبر ، والقائد الرومانى يتقلب على نيران الحب والغيرة والفيظ والاسى ، وكليوباترة تسحره بألفاظها تارة وتزجره تارة أخرى .

وفى الاول من اغسطس سنة ٣٠ قبل الميلاد وصل جيش أوكتافىوس الى ابواب الاسكندرية وخرج جيش انطونيوس للقاءه .

لابد من القتال . وستكون معركة فاصلة : فاما ان ينهزم الرومانيون بقيادة أوكتافىوس فيخلو الجو لانطونيوس . واما ان ينتصر أوكتافىوس فيخضع له الشرق والغرب ، ويقضى على انطونيوس وزوجته .

— سيدونيا .. تعالى .. لا اريد ان يلحق بى سواك يا صديقتى المحبوبة . هيا بنا الى ذلك الضريح المظلم .

— وهامو يامولاتى ؟ الا تسمحبن له بالمجيء معنا ؟

— ليات .. وليسرع .

خرجت كليوباترة ومعها معتوقتها سيدونيا وهامو الحبشى الاسود ، من القصر الملكى فى الاسكندرية فى تلك الليلة الليلاء ، تحت ستار الظلام الحالك ، ولجئوا الى الاقبية السوداء التى تضم اضرحة البطالسة آباء كليوباترة وأجدادها .

وسألت الملكة معتوقها هامو :

— هل نفذت اوامرى كما اصدرتها اليك ؟

— نعم يامولاتى . ان قواد الجيش وقواد السفن لن يطيعوا انطونيوس ولن يلبوا دعوته الى القتال ...

— اننى خائفة ياهامو ، خائفة باسيدونيا . واخشى ان يلحق بى انطونيوس الى هنا ، وينزل بى العقاب الذى استحقه . فياله من حب ينتهى اليوم بهذه الخاتمة المفجعة .

قضت كليوباترة ليلتها بين اضرحة الملوك فى تلك الاقبية المظلمة ..

وتمرد الجيش . وتمرد الاسطول ...

وأدرك ماركوس انطونيوس أن الدائرة قد دارت عليه فطعن نفسه بسيفه ومات منتحرا ...

ودخل أوكتافىوس مدينة الاسكندرية ظافرا منصورا ، وأعلن انه سيجر وراء مركبته ملكة مصر الحسناء مربوطة بشعرها ، وانه سيطوف بها على هذه الصورة فى مدينة روما العظمى .

لكن كليوباترة لم تمكنه من نفسها . فماتت من لسعة حية حملها
اليها فلاح مصرى بالتواطؤ مع المعتوق هامو الحبشى ، وزوجته سيدونيا
وفي اليوم الذى ماتت فيه كليوباترة ، عشر جنود أوكتافىوس ،
وهم يفتشون القصور والمنازل والاقبية ، على جثتين متعانقتين ، فى
ضريح البطالسة : جثة العبد الحبشى المعتوق ، هامو القائد البحرى ،
وجثة الجارية المعتوقة سيدونيا الجميلة .
واستولى أوكتافىوس على كنوز البطالسة . واصبحت مصر منذ
ذلك اليوم ولاية رومانية على رأسها حاكم رومانى .

عاشقة الأمواج

كانت أمواج البحر مرتعا لها ، لا
يجاريها أحد في شق عباؤها . ثم شاءت
الأقدار أن تصبح الأمواج لها كفنا !



ميلونا

سقط يوليوس قيصر العظيم مضرجا بدمه تحت خناجر القتلة .
الذين هاجموا كالدثاب المفترسة في مجلس الشيوخ الروماني بقيادة
بروتوس ، وكاسيوس ، في سنة ٤٤ قبل الميلاد ، فتولى الحكم بعده
ثلاثة رجال هم أوكتافيوس ، وماركوس انطونيوس ، ولبيدوس انطونيوس
فرحف الثاني الى الشرق حيث رفع اعلام الرومانيين ، وعزم على متابعة
السير الى مصر ، للقاء الملكة كليوباترة الجميلة الساحرة ، التي كان
قيصر قد فتن بها عندما هبط الاسكندرية ، بعد القضاء على أعدائه
ومزاحميه .

وكان انطونيوس يشك في ولاء الملكة المصرية الاغريقية ، فاوفد
اليها الرسل من مدينة طرسوس بسورية . لتأتي الى مركز القيادة
الرومانية في تلك المدينة ، وتقدم له الحساب .

وقد سافرت الملكة في موكب فخم لم يذكر التاريخ مثيلا له في
العظمة والجلال ، واستطاعت ارضاء القائد الروماني الشاب الذي بدا
حديثه معها بديهة السيد الأمر وختمه بلهجة العبد الطائع .

كان ذلك في فصل الشتاء بين سنتي ٤٢ و ٤١ قبل الميلاد . وفي
تلك الليلة التي جمعت بين كليوباترة وانطونيوس طويت صفحة من
صفحات التاريخ ونشرت صفحة جديدة ملأى بالروائع والفواجع .

عادت كليوباترة الى الاسكندرية ومعها القائد الروماني ، وقد
امسى محبا مفرما ، وعزم منذ ذلك الوقت على الاستئثار بالملك في
الشرق الروماني ، واشراك حبيبته فيه .

* * *

واصطحب انطونيوس من سورية طائفة من الحسان جعلهن في
خدمة الملكة المحبوبة ، وبين اولئك الحسان فتاة فينيقية يتيمة ، جيء
بها الى مركز القائد الروماني مع سبايا الحرب اسمها « ميلونا » .

عرفت ميلونا بين رفيقاتها ، بأنها تحسن الصيد والقنص والسباحة
وتمارس أعمال الفروسية بأنواعها ، وكانت الى ذلك لا تجهل فنون
البهرجة وخدمة ربات القصور .

وقد عرفت كيف تتقرب من سيدة قصر الاسكندرية ، فلم يكدر
ينقضي شهر واحد على اقامتها في مقرها الجديد ، حتى آثرتا كليوباترة
على بقية الخدم ، وكانت تدعوها الى ملازمتها في كل نزهة خارج المدينة
وخصوصا عندما تذهب الملكة الى شاطئ البحر . للاستحمام والجلوس
على الصخور .

ذهب أنطونيوس على رأس جيش لجلب لفتح بلاد فارس ومادى ،
ولكنه عاد مسرعا دون أن يكمل الفوز مسعاه ، وعندما وصل الى
الاسكندرية ، وضمته كليوباترة بين ذراعيها بعد طول الغياب ، أدرك
أنه أصبح ملكا لها فاقدم على عمل كان الخطوة الاولى نحو هلاكه ، فقد
طلق زوجته أوكتافيا وأعلن زواجه بملكة مصر كليوباترة الجميلة .

كان ذلك فى سنة ٣٦ قبل الميلاد . فلم يكده الخبر ينتهى الى روما
حتى قام أوكتافىوس يعلن من فوق المنابر ، أن أنطونيوس أصبح خائنا
للوطن وعدوا لروما ..

لكن أنطونيوس لم يعبا بغضب قومه وثورة زميله ، بل طلب الى
كليوباترة أن تقيم الافراح فى الاسكندرية ، احتفالا بالزواج الميمون .

فبرزت المدينة فى أبهى مظاهرها ، ونصبت الخيام على شاطئ
البحر ، خارج الاسكندرية ، حيث ضرب قيصر خيامه عندما هبط ارض
مصر ، وهو المكان الذى أطلق عليه منذ ذلك الوقت اسم « كامبوتشيزارى »
أو « معسكر قيصر » ..

وهناك ، أمام امواج البحر المتكسرة على الصخور فوق الرمال
الناعمة ، جلس المدعوون حول أنطونيوس وكليوباترة يقرعون الكؤوس
ويشربون السلاف ، ويتفرجون بمصارعة العبيد ورقص الجوارى
وسباق السباحين والسباحات . وبينما كان كل منهم منصرفا الى
ملاذه ، قالت كليوباترة لزوجها :

— انظر ايها الحبيب العزيز : ان هذه الفتاة التى تخوض عباب
الامواج أمامنا ، فيعجز الرجال عن اللحاق بها ، لامهر امرأة نزلت الى
البحر وعامت فوق مياهه . الا تذكرها ؟
.. كلا ايها المحبوبة المعبودة .

— ميلونا ! الا تذكر ميلونا التى جئت بها من سورية ؟
— لقد نسيت اسمها . ولكنني أذكر الآن ماسمعه عنها . فقد
قيل لى ان فى استطاعتها البقاء تحت الماء مدة طويلة ، بلا عناء ...

— هذا صحيح .. فقد رأيت من مهارتها العجب العجيب .

وأرسلت كليوباترة فى طلب الفتاة فجاءت الى مضرب الملكة وعليها
معطف من الحرير الشفاف ، يلف جسما بديع التكوين ، متناسب
الاعضاء يميل الى السمرة .. فبادرها أنطونيوس قائلا :

— الا ترغبين فى الزواج باميلونا ؟ حرام أن يبقى هذا الجمال
الساحر مهملا ..

فنظرت الفتاة الى القائد الجميل بلا خوف ولا وجل واجابت :

— اننى أرغب فى الزواج بيا أنطونيوس وحيدا لو اتاحت لى الاقدار
أن أجد الزوج الجميل الذى يشبهك . ولكننى اقسمت الا اتخذ لى

بعلا غير الرجل الذى يفوز على فى السباحة . ولم أجد بعد ذلك الرجل المنشود ، وأخشى ألا أجده أبدا .

— وما حملك على هذا القسم العجيب ؟
— كنت فى بلادى مخطوبة لشاب سورى مثلى ، كان فريد عصره فى السباحة ، يعوم على وجه الماء ، ويشق عباب البحر فيسبق السفن . ولكنه لقى حتفه فى القتال فمات مدافعا عن أبى ، الذى قتل فى المعركة التى سقط فيها خطيبى ، فامتزجت دماء الاثنين ، وفاضت روحهما الطاهرتان فى لحظة واحدة . ومنذ ذلك الوقت بقيت وحيدة فى هذا العالم ، لاسند لى ولا معين . فاذا كان عندك ذلك الرجل الماهر فى السباحة كما كان خطيبى ، فأننى أعطيه قلبى دون أن أندم على ما فعلت . ودون أن أغضب روح الحبيب الاول .

أصفى انطونيوس الى قصة الفتاة . ثم أفرغ كأسه فى فمه للمرة العاشرة ، وصاح بالضباط والجنود الواقفين حوله قائلا :

— اليس بينكم يا أبناء روما ومصر ، من يقلب هذه السوربة الحسنة فى السباحة فيأخذها زوجة ، وينعم بما أغدقته عليها الطبيعة من سحر وجمال ؟ الى البحر ياطالبى الزواج .

وكانت ساعة عجيبة ، تلك الساعة التى اندفع فيها الرجال والشبان والصبيان كالسيل المتدفق لمقابلة الامواج ، من شاطئ « كامبو تشيزارى » .

نزل الى البحر عشرة ، وتبعهم عشرون فعشرون . ولحق بهم آخرون وآخرون . وبدأ البحر كأن عشرات السفن قد تحطمت فيه ، فألقت برجالها الى اليم ، ونزلت ميلونا الحسنة بين تلك الجموع السابحة ، فجعلت تخترق صفوفهم وتشق الامواج ، ثم تغيب عن الانظار تحت الماء وتبسد بعد لحظة فى مكان آخر ، وكل يحاول اللحاق بها على غير جدوى .

وظلت المباراة ساعات ، تعب فيها من تعب فعاد الى الشاطئ منهوك القوى ، وثابر فيها من ثابر ففرق ، أو أشرف على الفرق ، فألقته ميلونا نفسها من الهلاك . وأخيرا ، أصدرت كليوباترة أمرها بانتهاء المباراة ، وأعلنت فوز ميلونا السباحة التى لاتجارى .

مرت الاعوام وانطونيوس وكليوباترة يدعمان بالحب ويرتشفان كئوسه . وميلونا تبحث عن الزوج المنشود فلا تجده .

وكانت روما تعد العدة للقضاء على انطونيوس الخائن فى نظر الرومانيين أجمعين . فدارت رحى القتال بين الفريقين برا وبحرا ، حتى دارت الدائرة على انطونيوس اذ تخلت عنه كليوباترة بأن أمرت سفن مصر بالعودة الى الاسكندرية قبل بدء المعركة ، فتبعها انطونيوس وأصبح أوكتافىوس سيد الموقف بلا قتال .

حمل أوكتافىوس على سورية ففتحها ، ودخل الى مصر حيث
ذحف على الاسكندرية لمقاتلة خصمه . فالتقى الجيشان فى «نيكوبوليس»
وهى ضاحية من ضواحي الاسكندرية بين المكانين اللذين تقوم فيهما
الآن ضاحيتا « بولكلى » و «سان استيفانو» ، وفى تلك المعركة سجل
النصر النهائى لأوكتافىوس . فقد عصى رجال أنطونىوس طاعة قائدهم
ويقال : انهم فعلوا ذلك بأمر خفى من كليوباترة ، التى غرقتها وعود
أوكتافىوس فخانت حبيبها ظنا منها أنها ستحتفظ بعرشها من هذا
السبيل .

فى الأول من أغسطس سنة ٣٠ قبل الميلاد ، دخل أوكتافىوس
مدينة الاسكندرية فاتحا ، بعد ان يثس أنطونىوس من النصر ، فانتحر
مفضلا الموت على الاسر .

وكانت كليوباترة ترجو النجاة ، لكنها ادركت فى النهاية ان
أوكتافىوس لن يصفح عنها بل سيأخذها الى روما ذليلة مهانة .
فانتحرت كحبيبها .

وأعلن أوكتافىوس بعد وفاة خصمه ، ان ارض مصر أصبحت
ولاية رومانية . وانه هو الوارث لكنوز البطالسة .

خرجت ميلونا من قصر الملكة فى ذلك اليوم المشئوم ، هائمة على
وجهها ، واجتازت أسوار المدينة آملة أن تجد باب النجاة مفتوحا .
ولكنها عندما وصلت الى شاطئ البحر ، « كامبو تشيزارى » وجدت
نفسها بين مضارب الجند ، وقد نصت فى المكان الذى نصب فيه قيصر
خيامه قبل ذلك الوقت ببضعة أعوام .

رأها الجنود حيرى مذعورة ، تتخطى الصخور وتحاول الهرب ،
فوثبوا الى ناحيتها وحاولوا اللحاق بها وهم يصيحون :

— امرأة مصرية ! امرأة مصرية !

ادركت الفتاة أنها هالكة بلا شك ، لو وقعت فى أيدي أولئك
السكرارى ، ففكرت فى الانتحار ثم صاحت بالجنود المسرعين خلفها قائلة :

— يا أبناء الذئبة الرومانية ! اذا كنتم تريدون امرأة جميلة ،
فالحقوا بها الى البحر ، ومن يستطيع منكم أن يدركها ، يقر بها ؟ .

وألقت ميلونا بنفسها فى البحر ، وجعلت تخوض عباب الماء .
فاستولت الحماسسة على بعض الجنود ، فنزلوا وراءها الى البحر

وشهد شاطئ « كامبو تشيزارى » مباراة ثانية ، كتلك التى شهدتها
يوم الاحتفال بزواج أنطونىوس وكليوباترة .

ولكنها مباراة من نوع آخر . . فقد نزلت ميلونا الى البحر فى
هذه المرة وهى عازمة على ألا تعود . . ولم تعد .

ذات القلبين

أحبّت رجلين ، وأخلصت ، ثلاثين ،
وقتلّت نفسها مرتين ، فكان حبها
أعجب حب تحدث عنه الناس .



كليوباترة ملكة مصر

- اتحبيننى يافينا ؟
- احبك يالوكوس .
- اتقسمين لى يمين الاخلاص فى الحب ؟
- الى النهاية .
- اذن سأرحل هادئا مرتاح البال الى الحروب والفروقات ، واثقا
بك عالما انك ستفكرين فى وترفعين صلواتك الى الالهة لكى تأخذ بيدى
وتدفع عنى الموت فى الميادين
قال لوكوس هذا وطبع على جبين حبيبته « فينا » قبلة حارة وانصرف
من مخدعها عائدا الى ثكنات الجيش .
وبعد نصف ساعة ، كان فى المخدع شاب آخر ، بهى الطلعة طويل
القامة قوى العضلات مثل لوكوس .
ودار بينه وبين الفتاة فينا الحديث الآتى :
- اتحبيننى يافينا ؟
- احبك يالاجوس .
- اتقسمين لى يمين الاخلاص فى الحب ؟
- الى النهاية .
- اذن سأرحل هادئا مرتاح البال الى الحروب والفروقات ، واثقا
بك ، عالما انك ستفكرين فى وترفعين صلواتك الى الالهة لكى تأخذ بيدى
وتدفع عنى الموت فى الميادين .
قال لاجوس هذا ، وطبع على جبين حبيبته « فينا » قبلة حارة
مثل قبلة لوكوس - وانصرف من مخدعها عائدا الى ثكنات الجيش .

امراة تحب رجلين .
ليس هذا مايدعو الى الدهشة والاستغراب ، فان التاريخ يذكر
فى سجلاته اكثر من حادث واحد من هذا النوع . انما العجب كل العجب
فى ان تحب المراة رجلين حبا قويا عميقا ، يدفعها الى التضحية فى سبيل
الاثنين . والعجب كل العجب فى ان يكون كل من الرجلين المحبوبين عالما
بمكانة خصمه لدى المراة ، وأن يكون راضيا بذلك ، متفقا مع غريمه
على ان ينتحى أحد الاثنين طائعا مستسلما عندما تجاهر الفتاة فى
حضورهما بأنها تفضل هذا على ذاك ، أو ذاك على هذا ..

- اتحبيننى يافينا ؟
تلك كانت حالة الحبيبين المحبوبين ، لوكوس الرومانى ولاجوس
اليونانى ، مع الفتاة فينا ، فى قصر ملكة مصر كليوباترة .

من « فينا » المثيرة ذلك الحب المزدوج ، وصاحبة القلب المشطور
الى شطرين ؟

هى فتاة مجهولة الاصل ، لم يعرف أحد من أمرها شيئا ، لان
الرجل الذى كان مطلعا على سر حياتها مات فى القصر فجأة ، وقيل على
أثر موته ان يدا ائيمة دست له السم فى الطعام ، وان تلك اليد هى يد
الفتاة « فينا » نفسها . لانها كانت تريد التخلص من سيطرته عليها .

أما الرجل فاسمه « عمرو » وهو عربى جاء مصر بعد دخول
يوليوس قيصر الى الاسكندرية وجلوس كيوباترة على عرش البطالسة .
وكانت الفتاة « فينا » تصحبه وهى فى العاشرة من عمرها

رائها كليوباترة فأحبته وأخذتها وصيفة ونجبة .. وكانت
الوصائف الاخر فى القصر يتهايمن فيما بينهن قائلات :

— هذه الفتاة هى أخت الملكة . فان أباهما بطليموس كان يحب
امراة عربية . وقد استولدها هذه الفتاة ثم قتلها وأرسل الطفلة مع
أحد المقربين اليه وأعطاه مبلغا من المال ، قائلا له ان يرحل عن مصر
ولا يعود اليها الا بعد موت الملك . فعاد عمرو مع الفتاة ابنة بطليموس
بعد أن آل العرش الى كليوباترة ! ..

هذا ما كانت الوصائف يتهايمن به فى القصر . وقد بلغت هذه
الاشاعات مسامع الملكة فثار ثائرها ، وغضبت على وصائفها وساءها
ان تتناقل الألسنة خبرا مثل هذا وارادت ان تكذبه علنا ، فأغدقت
نعمها على الفتاة الغريبة اليتيمة ، وقدمتها لماركوس انطونيوس حبيبها
الرومانى المقيم ، قائلة له : انها ابنة قائد من قواد الجيش فى عهد أبيها ،
وأنها تحبها حبا جما وتعاملها فى القصر معاملة الأخت لأختها .

وكانت الفتاة « فينا » غريبة الاطوار ، غريبة الاخلاق ، غريبة
الاعمال ، يخيل الى من يعاشرها ويجالسها انها مزيج من المتناقضات ،
أو انها مكونة من شخصين شئت الطبيعة ان تجعل منهما شخصا واحدا
كان فى استطاعة فينا ان تضحك وتبكي فى آن واحد ، وان تبدو
فى لحظة واحدة هادئة هائجة ، راضية ناقمة ، نائمة مستيقظة !

وتلك الظواهر الغريبة الشاذة كانت تحمل رجال الحاشية الملكية
ونساء القصر على الاعتقاد بأن الفتاة المقربة من الملكة ليست امراة كبقية
النساء ، وأن للآلهة المسيطرة على مقدرات البشر يدا فى تكوينها !

وكان أغرب تلك الظواهر الداعية الى الدهشة والتساؤل ، ميل
الفتاة « فينا » الى رجلين وشطرت قلبها شطرين . فانها كانت تحب
« لوكوس » الضابط الرومانى فى حرس كليوباتره ، وكانت تحب
« لاجوس » الضابط اليونانى فى فرقة « فرسان الموت » . وكانت تعجهر
أمام الاثنين بأنها تحب كلا منهما حبا خالصا أكيدا ، وانها لا تفرق
ولا تستطيع ان تفرق بين الواحد والاخر !

وكانت الملكة كليوباترة ، وهى المجربة ، والمطلعة العليمة بأسرار

أما كان الناس يعتقدون أن للآلهة يدا في تكوين الفتاة الحسناء
المجهولة الأصل ؟

ومضت أسابيع أخرى . وتمائلت « فينا » للشفاء دون أن يعود
قلبها إلى الحفان .

وحمل الرسل أخبارا سارة عن فوز « فرسان الموت » في تأديب
القبائل العاصية وأعادها إلى حظيرة الطاعة

وكانت هذه الأخبار كالأخبار السابقة ممزوجة بالأسى : فإن فرقة
الفرسان فقدت فريقا من رجالها الأشداء . وكان الضابط لاجوس بين
القتلى الذين حمل الرسل خبر مصرعهم في ساعة الشرف !

علمت « فينا » بما حل بحبيبها الآخر ، فلم تطق صبرا على هذه الكارثة
وتناولت خنجرها الذهبي المعهود ، وأغمدت نصله في صدرها - ناحية
اليمين - وخرت على سريرها غارقة في بحر من الدماء !

كانت الطعنة الثانية هي القاضية . فقد عجز أطباء القصر عن إعادة
الحياة إلى جسم الفتاة العاشقة ، فبكتها الملكة كليوباترة ، وأمرت بأن
تدفن في حدائق القصر تحت شرفة مولاتها ، وأن تزرع الأزهار على
ضريحها !

ولكن الملكة أرادت أن تحتفظ بأثر من آثار الفتاة التي قتلت نفسها
مرتين في سبيل حبها المزدوج . فطلبت من الأطباء أن ينتزعوا قلب « فينا »
من صدرها ، وأن يضعوه في أناء زجاجي ويرسلوه إلى كليوباترة
للاحتفاظ به في حجرتها التي كانت تذوق فيها مع أنطونيوس الذ ساعات
مرت بها في حياتها ...

وأجيببت الملكة إلى طلبها . ومزق مبضع الأطباء صدر الفتاة !

ووقفت الأطباء مذهولين دهشين مذعورين أمام المنظر الذي وقعت
عليه عيونهم ولمسته أيديهم . فقد وجدوا في صدر الفتاة قلبين !

وجدوا قلبا إلى اليسار !

ووجدوا قلبا آخر إلى اليمين !

كانت الفتاة فينا اذن ذات قلبين ، وكانت ذات حبين ، وكانت ذات
شخصيتين متباينتين أفرغت في جسم واحد !

اذن فهي امرأتان في امرأة

وكان غرامها أعجب غرام عرفه التاريخ . فقد خفق قلبها اليسر
بحب الضابط لوكوس الروماني . وخفق قلبها اليمين بحب لاجوس
الضابط اليوناني . وقتلت نفسها مرتين بأن مزقت قلبها الذي أحب
لوكوس بعد موته . ومزقت قلبها الذي أحب لاجوس بعد موته أيضا !

الحب ، تعلم ذلك وتشجع الفتاة على المضي في الحبين معا ، الى ان يجيء
اليوم الذى تشعر فيه بأن فى استطاعتها أن تستغنى عن أحد الحبيين
دون أن يصاب قلبها بجروح تدميه !

وشاهد سكان القصر الملكى ، فى وقت من الأوقات ، أعجب حب
عرفوه : حب الفتاة « فينا » المجهولة الأصل ، وظهورها أمام الناس
متأبطة ذراعى رجلين ، هما فى الواقع صديقان وخصمان فى آن واحد !

* * *

تمردت فرقة من الجيش الرومانى الذى تبع ماركوس انطونيوس
الى مصر واقام فيها مع القائد الحبيب : فزحف حرس الملكة على العصاة
لتأديبهم وذهب الضابط لوكوس الى الميدان

وتمردت القبائل على الحدود ، فزحفت فرقة « فرسان الموت »
على العصاة لتأديبهم وذهب الضابط لاجوس الى الميدان .

وعكفت الفتاة فينا على الصلاة ، وحسبت نفسها فى حجرتها
وجعلت تضرع الى الآلهة ليلاً ونهاراً بأن تحرس الحبيين فى ساحات
الوفا ، وترد عنهما الأسلحة والسيوف !

مضى أسبوعان ثم مضى أسبوع ثالث ، وإذا بالرسول يعود الى
القصر حاملة أخباراً سارة من فوز الحرس فى خنق عصيان الرومانيين
واعادتهم الى حظيرة الطاعة !

لكن تلك الاخبار كانت ممزوجة بالأسى : فان فرقة الحرس فقدت
فريقاً من رجالها الأشداء . وكان الضابط لوكوس بين القتلى الذين
حمل الرسل خبر مصرعهم فى ساحة الشرف !

علمت فينا بما حل بحبيبها ، فلم تطق صبراً على هذه الكارثة
وتناولت خنجرها الذهبى الصغير ، وهو هدية من الملكة كليوباترة :
وأغمدت نصله فى صدرها . فسقطت على الأرض والدم يسيل من
جرحها ...

بل من قلبها ...

فان الفتاة الوالدة طعنت نفسها بذلك الخنجر الذهبى ناحية
اليسار من صدرها المرمرى ، فمزق النصل الحاد قلب فينا تمزيقاً :
وتدفقت الدماء منه على بلاط الحجرة أمام تماثيل الآلهة التى لم تستجيب
صلوات المسكينة !

ولكن حدث بعد ذلك ما جعل القصر كله يهتج كالبحر الزاخر ،
وتتصاعد فيه الأصوات من كل ناحية وصوب : أصوات الدهشة وأصوات
الاستغاثة وأصوات الخوف والدمع !

مزق النصل قلب الفتاة ولكن الفتاة لم تمت ! ووقف قلبها من
الخفقان ولكن الحياة لم تفارق ذلك الجسد البديع !

وحفظ القلبان فى اناء زجاجى فى حجرة الملكة كليوباترة !

وعندما انهزمت جيوش الملكة وحليفها انطونيوس ، وانتحرالقائد
الرومانى ، ودخل عدوه أوكتافىوس الاسكندرية فائزاً منتصراً ، وماتت
كليوباترة تلك الميتة المعروفة ، وجد الرومانى المنتصر أوكتافىوس ، فى
حجرة الملكة ، ذلك الاناء الزجاجى ، فحمله معه الى روما بعد أن سمع من
الرواة قصة الفتاة « فينا » ذات القلبين ، وذات الحبين !

وكان ذلك فى سنة ٣٠ قبل الميلاد !

المصريّات الصائمات

ثم يظنن صبرا على البقاء بعيدات منفيات عن
وطنهن ، فاضربن عن الطعام وأدغمن الامبراطور
الطاغية على اجابة طلبهن بالعودة !



الاميراطور نيرون

نهض «بونتوريوس» رسول قيصر من مقعده ، بعد أن استمع لشكاية المرأة بدون أن يقاطعها وهي تخاطبه باسمها وباسم رفيقاتها ، وساد القاعة صمت قصير ، مزق الرسول سكونه بقوله :

— إذا كان قيصر نيرون قد أوفدني اليكن رسولا ووسيط خير ياسيرايا فذلك لانه يعرف الصلة المتينة التي تربطني بالبلد البعيد الذي جئتن منه ، فان زوجتي كما تعلمن جميعا مصرية من هليوبوليس ، تزوجتها يوم كنت أقيم في بلادكم الجميلة ، في عهد الامبراطور السابق كلوديوس ، وهي الآن تقيم معي لى روما ، وقد أصبحت هذه البلاد وطنا ثانيا لها ، تحبه بقدر ما تحب وطنها الاول مصر . وزوجتي وانا يؤلنا أن تكونى ياسيرايا أنت ورفيقاتك فى هذا القصر ، حزينات كئيبات ناقيات .

فقاطعته المرأة قائلة :

— ولكننى يا بونتوريوس بسطت لك العوامل التى سببت لنا النعمة والكآبة والحزن ، ولست فى حاجة الى التكرار لكى تقتنع بعدالة مانطلب من قيصر .

- هل لك أن تفرغى تلك المطالب فى عبارات معدودة ؟
- نعم : قل لقيصر اننا نريد الرحيل عن روما والعودة الى بلادنا .
- واذا رفض اجابتكن الى ماتطلبن ؟
- ننفذ وعيدنا ونضرب عن تناول الطعام ابتداء من صباح غد ، فالحياة خارج مصر لم تبق لها فى نظرنا أية قيمة . فاما أن نعود ، واما أن نموت .
- ماذا ينقصكن هنا من اسباب الراحة وعوامل لتسليه واللوا .
- لا ينقصنا شيء . . . ولكن ما نتمتع به كله لا يساوى عندنا نفحة من نسيم مصر ، وجرعة من ماء النيل ! اننا نفضل الحرية فى بيوتنا المتواضعة على الأسر فى هذه القاعات الفخمة .
- ساحمل رغبتكن الى قيصر ، واجيثكن برده فى هذا المساء .

تسع نساء مصريةا اعتصمن فى قاعة من قاعات القصر الامبراطورى بروما ، وأرسلن الى نيرون الحاكم بأمره هذا الانذار : « اما أن تعيدنا الى وطننا واما أن تشاهد موتنا البطيء جوعا ، فيكون هذا وصمة عار فى تاريخ ملكك ! » .

فمن هن ؟ ومن أين لهن تلك الجرأة ؟ وكيف فكرن فى تلك الوسيلة المبتكرة للتأثير على قيصر والضغط على ارادته وارغامه على اطلاق سراحهن «سيرايا» ابنة كاهن مصرى اشتهر بالعلم والتقوى ، ومات مقتولا بيد

جندى روماني ثمل ، فكان لمصرعه رثة أسي بالاسكندرية ، في سنة ٤٥ للميلاد ، وحدث ما يشبه الفتنة في أسواق المدينة مما اضطر الحساك الروماني الى القبض على الجندى وتسليمه الى عمال المرفأ الذين وضعوا حجرا في عنقه والقوه في البحر بعد أن قتلوه ضربا بالعصى .

وكان الرومانيون في ذلك الوقت حريصين على استرضاء المصريين ، فتلقى الحاكم من الامبراطور الجديد «لوسيسوس دوميسيوس نيرو» الذي اشتهر باسم «نيرون» أمرا بأن يدفع الى أسرة الكاهن القليل مبلغا من المال ويرسل ابنتيه الى روما مع بعض صديقاتهن ليقيم في جناح النساء بالقصر الامبراطوري مدة من الزمن .

وكانت روما محط أنظار العالم ، ومصر تابعة لها ، وأمنية الرعايا جميعا في أنحاء الامبراطورية الشاسعة زيارة العاصمة والتمتع بمباهجها .

وسافرت سيرايا ابنة الكاهن المصري «زرتاسن» الى روما ، ومعها اختها «فيلون» العازفة على القيثارة ، وخمس فتيات أخريات من بنسبات الاسكندرية المثقفات الجميلات ، واثنان من الجوارى رفضتا البقاء في غياب الفتاتين ابنتي الكاهن .

كان نيرون لا يزال دون العشرين . ولم تكتمل في أعماق نفسه بعد تلك الميول الحيوانية ، والقسوة البهيمية ، والرغبة في ازهاق النفوس وسفك الدماء ، مما جعل معاصرة يقولون عنه أن له «رأسا من حديد وقلبا من رصاص» .

استقبل نيرون الفتيات المصريات بعبارات الترحيب وابتسامات الرضا ، وأنزلهن في القصر الامبراطوري معززات مكرمات ، وخصص لهن جناحا من ذلك القصر وأمر بأن تجاب رغباتهن أيا كانت . ومرت سنة كاملة بدون أن تشعر الفتيات بضيق أو حرمان .

وكن يتساءلن : لماذا جاء بنا قيصر الى هذه المدينة ؟ ولماذا لا يسمح لنا بالعودة الى بلادنا ؟ و . . . ؟

أسئلة لم تجد جوابا ، ولغز ظل غير مفهوم !

مرت الاعوام تحمل معها تغييرا في شخصية الامبراطور ، فقد تحول الشاب اللطيف المهذب المثقف ، الى وحش ظامئ للدماء . . الى انسان ليس في صدره قلب انسان ، ولا في رأسه عقل انسان ، فهو لا يعقل لانه مجنون . ولا يشعر لان قلبه خلو من كل عاطفة .

وكان يتفنن في تعذيب الناس ويبتكر من أساليب الارهاب والارهاق مالا تتفق عنه الأدمغة المريضة .

ومما عمد اليه نيرون بالنسبة الى المصريات التسع اللواتي أنزلهن في قصره معززات مكرمات مدة ثلاثة أعوام ، ان أصدر أمره فجأة بأن تغلق عليهن أبواب الجناح الذي يقمن فيه ، وتسد بالحجارة ، ولا يبقى غير باب واحد يقف عنده الحراس بأسلحتهم ليمنعوا النساء من الخروج .

حبس نieron المصريات التسع داخل الحجرات المخصصة لهن ، وأمر بأن يقوم العبيد والجواري بخدمتهن ، ولا يرفضن لهن طلبا ، ولا يحرم من الا شيئين : اثنين : الخروج من جناحهن بالقصر ، واستقبال أحد من الرجال في مخادعهن .

وعبثا حاولت الفتيات التسع أن يعرفن لماذا حكم عليهن نieron بهذه العقوبة القاسية : أن يبقين حبيسات في قصر فاخر الرياش ، لا يذهبن لزيارة أحد ، ولا يأتي أحد لزيارتهم .

وبعد مضي ستة شهور كاملة على بقائهن سجينات في القصر ، عزم على القيام بمحاولة يائسة للخلاص من تلك الحالة التي لا تطاق .

وطلبن من نieron أن يصغى الى شكايتهن ، ولكنه لم يزرهن بنفسه ، بل أوفد اليهن صديقه ورفيقه بونتئوس ، الذي يعرفنه ويعرفهن .

واستمع بونتئوس الى سيرابا ، وعاد الى الامبراطور يقص عليه ما سمع .



مرت سبعة أيام على الفتيات الصائمات وهن مستلقيات في مخادعهن يرفضن تناول الطعام الذي يحمله اليهن الخدم والعبيد في أطباق من الذهب والفضة .

وساءت حالتهن ، وبدأ على بعضهن الضعف والانهيار . وفجأة ، فتح باب الجناح الذي بقى غير موصد على مصراعيه ودخل منه نieron وخلفه لفيف من الرجال والنساء .

وضحك ضحكة عالية ردها الصدى بين جدران الغرف الصامتة الهادئة .

ودار في داخل تلك الغرف مشهد لم يحدث مثله في قصر ملك : فقد ركع الامبراطور الروماني الطاغية على ركبتيه امام النساء الصائمات وجعل يلاطفهن ويرجو منهن أن يعدلن عن الصوم ويضعن حدا لهذا الاضراب القريب . ووقع نظره على قيثاره « فيلون » ملقاة على الارض فوثب اليها . وأخذها بين يديه وجعل يعزف عليها لحنا شجيا من وضعه ، ويغنى أنشودة من نظمه ، فيها ذكر الشرق ، وذكر مصر ، وذكر النيل والرمال الصفراء والشمس المحرقة .

وتوقف لحظة عن الغناء وقال مخاطبا سيرابا ورفيقاتها :

— لن أسمح لكن بالعودة الى مصر الا متى تيسر لي الذهاب معكن اليها . . . واذا كنت قد أمرت بأن تغلق عليكن الابواب ، ويحرم عليكن أن تقابلن أحدا في هذا القصر ، فما ذلك الا نزولا على رغبة الآلهة وتنفيذا لارادتها . . . وقد جئت الآن بنفسى اليكن لأطلعكن على السر الكامن خلف هذه المعاملة التي عاملتكن بها ، فاسمعن :

وأخذ نيرون قيثارته من جديد وراح يعزف ويتكلم فى آن واحد :
- عدت ذات ليلة من نزهة فى ضوء القمر ، واستلقيت على كومة من
الازهار فوق الشرفة المطلة على حديقة القصر ، وأغمضت عيني .. لم أتم
ولكننى لم أكن فى حالة صحو تام .. ورأيت رؤيا .. بدت لى ايزيس ،
ايزيس الربة التى يعبدها المصريون ويؤمن بقدرتها الرومانيون ، وقالت لى
يلغة غير لغة هذا البلد ، ولكننى فهمتها لأن الربة الجميلة نطقت بها ..
قالت لى ايزيس : يجب أن تعد العدة للسفر الى مصر يا نيرون ، والاقامة فى
الاسكندرية ، والتعب فى هياكلها ، واصحب معك فى رحلتك القادمة ابنة
الكاهن زرتاسن والفتيات المصريات المقيمات معها فى قصرى ، واحرص على
راحتهن وسلامتهن .. فلو حدث أن أصيبت واحدة منهن بأذى ، فإن نقمتى
ستكون عظيمة ، سانتقم لهن منك فانزل بك العذاب .

هذا ما قالته ايزيس .. وقد عولت منذ تلك الليلة على الذهاب الى
مصر ، ولكننى خفت عليك ، وخشيت أن يلحق بكن أذى فأمرت بحبسكن
فى هذا القصر .

هذا هو السر الذى باح به نيرون ، والذى أثار عند الفتيات الصائمات
الضحك والسخرية ، فتجرات سيرايا وقالت :

- أمن أجل المحافظة علينا ، تأمر بحبسنا ؟ .. أمن أجل تحقيق
الرغبة التى أفضت بها اليك ايزيس المعبودة ، تسىء الى ابنة الكاهن الذى
كان يخدم فى هياكلها ، والذى قتله جنود روما بالاسكندرية ، والى رفيقاتها
المصريات اللواتى نزلن فى ضيافتك مدة ثلاثة أعوام كاملة ؟

- أردت ان أصون حياتكن من الأذى .

- فالحقت بنا الأذى كله ، وحرمتنا من حريتنا .

- ماذا تطلبين الآن ؟

- الخروج من هذا القصر .

- سأسمح لكن بالخروج .

- والعودة الى بلادنا .

- لا .. ستعودين الى مصر ، وستعود اخواتك أيضا .. ولكننى فى

رفقتى أنا ، عندما يتيسر لى السفر تحقيقا لرغبة ايزيس .

- لن نبقى يوما واحدا هنا برغم ارادتنا .

- ولكنها ارادتى أنا !

- ارادتك لا يحسب لها حساب بالنسبة لينا .

وصاح نيرون صيحة كزير الأسد ، ووثب رافعا قيثارته ليضرب بها
المصرية التى تجرات ورفعت صوتها فى وجهه وخاطبته بتلك اللهجة ولكنه
ترجع فجأة ، وقد تذكر ما قالته له ايزيس يوم خاطبته وأوصته بأن يحافظ
على المصريات ويدفع عنهن كل أذى .

خاف الوحش ان يضرب ضربته ، فتجمل به فيما بعد لعنة ايزيس
وتنزل عليه ضرباتها .

وركع نيرون مرة أخرى هادئا متوسلا ، ووقف رفاقه من الرجال والنساء مبهورين ! .

وراح يعرض على سيرابا أن يهب لها قصرا على أحد تلال روما لتقيم فيه مع رفيقاتها على شرط ألا يخرجن منه، فرفضت وعرض عليها البقاء في قصره على شرط ألا تتعدى بابه الخارجي مع رفيقاتها فرفضت. وعرض عليها الخروج معهن الى حيث تشاء على شرط ألا يغادرن مدينة روما وألا يسرن في طرقاتها الا برفقة الحراس والجنود ، فرفضت .

وغضب نيرون وانصرف .

وعاودت سيرابا ورفيقاتها الاعتصام في إحدى القاعات والاضراب عن تناول الطعام .

ومر يوم ثامن ، ويوم تاسع ، ويوم عاشر .

وبلغ الأعياء مبلغه من الصائمات العنيدات . . . وذهبت كل التوسلات . سدى ، فلم يصغين لنصائح الناصحين ، ولا لرجاء الراجين ، ولا لوعيد المتوعدين !

وكانت سيرابا تقول لكل من جاء يخاطبها طالبا منها الكف عن الاضراب :

— لن نكف عنه الا اذا تقررنا عودتنا الى وطننا . والا فاننا سنموت من الجوع هنا ، وتحل بالطاغية نقمة الربة ايزيس ، التي ستنقم لنا منه تنفيذاً لما قالته يوم تراءت له على شرفة القصر .

وخاف نيرون أن يحدث ماهددت به الفتاة المصرية ، واستولت عليه الحيرة أمام الحملان التي تنمرت .

وأدركت سيرابا ما يدور في خلد نيرون ، وما يتلاطم في صدره من مخاوف ، فعولت على استغلال الظروف واغتنام الفرصة ، وتحطيم السلاسل الذهبية التي قيد بها الطاغية حريتها وحرية صويحباتها ، والانطلاق من ذلك السجن البراق الى جو لا تحده جدران ولا تسد منافذه أبواب .

ووهن نيرون أمام ذلك العناد ، واقتنع بأن الوسيلة الوحيدة لتجنب غضب ايزيس ، والوقاية من انتقامها ، هي صيانة أولئك الفتيات والمحافظة على سلامتهن ، ولا يمكن أن يتم ذلك الا باعادة حريتهن اليهن ، واعادتهن الى وطنهن ، على أن يلحق الامبراطور بهن في أقرب فرصة ، لكي تتحقق الرؤيا . . .

ووضع نيرون سفينة تحت تصرف الصائمات ، فنقلن اليها ، ولم يذقن طعاما الا بعد أن أقلعت السفينة بهن الى الاسكندرية ، وكان عليها حراس وأطباء وخدم وعبيد ظلوا جميعا في مصر تحت تصرف سيرابا واختها والفتيات الأخريات ، اللواتي قطع نيرون عهدا على نفسه بأن ينفق عليهن من بيت المال ، وان يوافيهن في مصر عندما يستطيع الى السفر سبيلا !

واستعادت الفتيات حريتهن ، وعشن في هناء وسعادة في أرض
-وطنهن ، وتمتعن بضعة أعوام بما كان نيرون يقدقه عليهن من عطاء سخى
"لا يقف عند حد"

ومرت أعوام أخرى ، ونيرون لم يستطع السفر لتحقيق رغبة
إيزيس .

وفي يوم ما بلغه خبر من الاسكندرية سبب له الحزن وبعث في
نفسه الخوف : فقد حمل اليه رسول من الحاكم الرومانى نبأ مصرع «سيرابا»
ابنة الكاهن زرتاسن بيد جندي رومانى ، مثل أبيها في أحد شوارع
الاسكندرية .

وقد سلم القاتل الى الشعب فقتله وألقى جثته في البحر .

ورجم نيرون .

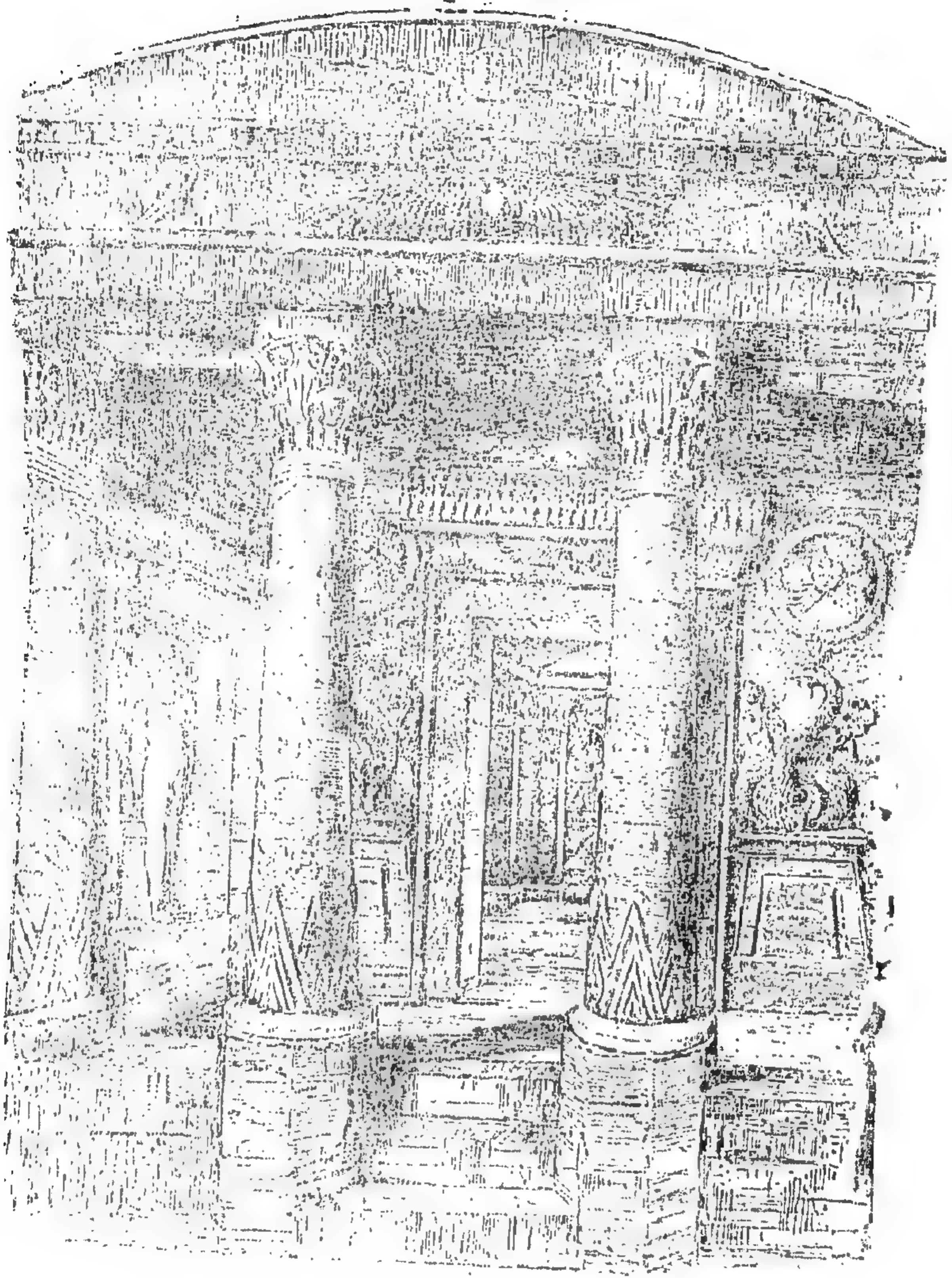
لقد أصيبت سيرابا بأذى قبل أن يتمكن الامبراطور من القيام برحلته
الى مصر ، نزولا على ارادة ايزيس .

فهل تتحقق الرؤيا !

لقد تحققت . . فبعد اسبوع واحد من وصول الخبر الى روما ، سقط
قيصر قتيلا بخناجر المتآمرين . وكان ذلك في سنة ٦٨ للميلاد ، وكان
نيرون في الحادية والثلاثين من العمر ، قضى منها أربعة عشر عاما على عرش
الامبراطورية .

التنكيت القتال

إذا كان التنكيت يروح عن النفس ويدخل
إليها السرور ويحملها على المرح ، فإنه قد يؤدي
أحيانا إلى عواقب وخيمة . وهذه قصة رجل
قتله التنكيت من الضحك !



من آثار الاغريق والرومان بالاسكندرية

التفتت أونيسيا الحسنة الى زبانية قيصر الذين كانوا يسوقونها
أمامهم ، مع رفيقها هليوس ، وسألتهم :

— ظننت انكم تقودوننا الى السجن ، فاذا بكم تدخلوننا قصرا يحاكي
قصور الامبراطور في روما ، وقصور البطالسة في الاسكندرية .

فأجابها أحدهم :

— انك سجيننة القائد فاتينيوس ايتها الحسنة ، وقد أراد الامبراطور
تيبيريوس أن يكون السجن أهلا للسجين والسجان معا ، فأمر بارسالك
الى هذا القصر الذي شيده في هذه الجزيرة لقضاء وقت الراحة والسرور
فيه ..

وذهب الجنود بالفتاة ورفيقها القزم هليوس ، الى الجناح الذي اعد
لهما في ذلك القصر ، القائم فوق صخر شاهق الارتفاع ، يشرف على البحر
وعلى مناظر جزيرة كابري الساحرة .

شيد الامبراطور تيبيريوس ذلك القصر وجعله مسرحا للذاته فكان
يقضى فيه الايام والليالي ، بين لفيف من أصدقائه ورفاقه ، وعشرات من
الغيد الحسان ، اللواتي يحملهن اليه رسله وقواده من أطراف الامبراطورية
الواسعة .

وعندما استولى عليه الضجر وانتابه الملل من السلطة والصولجان ،
هجر روما وضجيجها ، وترك مقاليد الحكم أمانة في أيدي أعوانه ، وانصرف
الى الانغماس في غمرة الملذات ، في قصر كابري حيث قضى السنوات
الخمس الاخيرة من سني ملكه . وقد وقعت الحادثة التي نحن في صددنا
في بحر هذه السنوات الخمس .

جلس تيبيريوس كلوديوس نيرو على عرش روما من سنة ١٤ الى
سنة ٣٧ بعد الميلاد . وتوفي في ١٦ من مارس من تلك السنة في جزيرة
كابري الجميلة .

وكانت مصر في عهده ولاية رومانية . ضمها الامبراطور أوغسطس
الى املاك روما بعد موت كليوباترة . وكان تيبيريوس في حكمه وإدارة
شئون ممتلكات عرشه على جانب من العدالة والانصاف . فقد بلغه مرة أن
حاكم مصر اميليوس ريكتوس يضطهد السكان ويرهقهم ويطاردهم لجباية
الأموال والضرائب منهم ، فكتب اليه يقول :

— « أريد منك أن تجز صوف القطيع فقط لا أن تسليخ جلده ! » وفي
هذا الأمر مافيه من الاعتدال ، اذا قسناه بأماليب الحكم في ذلك العصر ! .

وكان أشهر حكام مصر الرومانيين في ظل تيبريوس القائد كايوس
غاليوس ، الذي ظل يدير شئون البلاد باسم الامبراطور من سنة ١٦ الى
سنة ٢١ بعد الميلاد .

وقد غضب عليه تيبريوس فأراد المحاكم أن يسترضيه فأرسل اليه
الهدايا النفيسة وسربا من النساء والعبيد والحيوانات النادرة ، ولكن
ذلك لم ينقذه من غضب سيده . فقد أصدر تيبريوس أمره الى رجال
حاشيته بأن يوزعوا الهدايا والنساء والعبيد والحيوانات على من يرغب
فيها من رفاقه في المسرات . فكان له ماأراد .

وكانت الفتاة «اونيسيا» والقزم «هليوس» من نصيب القائد «فاتينيوس»
أقرب المقربين الى الامبراطور وأكثر الرومانيين انصرافا الى عبادة الشهوات ،
وأبعدهم قبحا في خلقه وخلقه !

* * *

مرت ثلاث سنوات على المصرية الحسنة في كنف ذلك الروماني
الماجن ، ذقت في خلالها العذاب أشكالا وألوانا ، وعرفت الآلام النفسية
المبرحة التي لايشعر بها الا كل من فقد أهله وحرية وبلاده .

وفي ذات يوم جلست اونيسيا على مقعد وثير ، في قصر سيدها ،
وأرسلت في طلب هليوس ، ودار بين الاثنين حديث ذو شجون ، عن مصر
وبحرها ونهرها وسهولها ومعابدها وأهلها ومحاسن الحياة فيها .

— هليوس ، اننى أجعل مابقى لى من العمر لقضاء يوم واحد في
الاسكندرية . ما السبيل الى الخلاص من هذه الحالة التي نحن فيها ؟

خففى عنك ياسيديتى . انك لاتزالين في ميعة الصبا . وانك لجميلة
مساحرة . نعم لقد كان جمالك البارع سببا لشقائق فوقعت في مخالب
فاتينيوس الثقيل السكر السميع . وقد ينقذك جمالك من مخالفته كما دفع
يك اليها . وثقى اننى لن أذوق الراحة قبل أن أطمئن الى راحتك أنت .
فلست أنا غير قزم مهرج حقير . وليست حياتى بشئ يذكر بالنسبة الى
حياتك أنت . فان جدك كان حاكم القصر في عهد كليوباترة وكان أبوك
من كبار الاغنياء في الاسكندرية . ولو لم يضرب بسيفه ضابطا رومانيا
حاول الاعتداء على امرأة مصرية من بنات الشعب ، ما قبض عليه الرومانيون
وأعدموه ، وما وقعت انت سبية أسيرة بين أيديهم . وانه لمن حسن حظى
أنا ، ان كنت مثلك من نصيب فاتينيوس ، لكى أظل بالقرب منك ، أقوم
بخدمتك ، وأضحك الرجل ومدعويه بتهريجى ونوادى وتنكىتى .

— حقا انك تخفف كثيرا من جيل هذه الحياة عن منكبى ياهليوس
ولولاك ما استطعت احتمال ألمى وعذابى . لقد سماك الناس هليوس
تحقيرا منهم ، اذ أن اسم «الشمس» هذا لاينطبق على جسمك الهزيل
ورأسك الضخم وعينيك الغائرتين وظهرك المقوس . ولكنه اسم ينطبق على
روحك العالية وشعورك الفياض وقلبك الابيض . ياعزيزى ، يابن بلدى
ياهليوس !

— لقد أخطأت أمي يا أونيسيا عندما شتمت فاتيانيوس وطرده من حجرتك . وقد علمت اليوم انه أمر بارسالنا نحن الاثنين الى السجن ، ومن يدرى الى أى سجن ؟

— اننى لا أخاف السجن ياهليوس ، فهو أحب الى من قصر فاتيانيوس هذا . وقد عازمت على أمر ولا أخفى عنك عزمي ، أنت يا صديقي الوحيد .

— وعلى أى أمر عازمت يا صديقتي ؟

— لابد أن يأتى فاتيانيوس الى السجن لرؤيتي ، فهو يحبني بقدر ما أكرهه وإذا ما جاء ...

— إذا ما جاء ؟

— أما أن أقتله ، وأما أن يقتلني ..

لكن أونيسيا وهليوس لم يلقيا في أعماق سجن من سجون روما المظلمة بل أن الجنود ساقوهما الى قصر الامبراطور تيسيريوس في جزيرة كابري .

كان فاتيانيوس قد دعى مع لفيث من رفاق المسرات الى قضاء أيام في ذلك القصر ، وأرسل الامبراطور يقول لهم مع حامل الدعوة : « على كل منكم أن يأخذ معه المرأة التي يريد » وألح على فاتيانيوس بأن يأخذ معه القزم المهرج المصري ، لكي يضحك المدعويين بنواذره وحركاته وتفكياته .

وبدل أن ينفذ فاتيانيوس تهديده بسجن أونيسيا ورفيقها هليوس ، أرسلهما في حراسة الجند الى كابري .

وعندما استقر بهما المقام في القصر الشاهق المشرف على البحر ، قال هليوس لصديقه :

— أونيسيا . لقد فكرت فيما كنت تقولينه لي قبل مجيئنا الى هنا . من عزمك على الفتك بالرجل الذي يعذبك . فاصغي الى واعلي بإشارتي عندما يعقد القوم مجلسهم لالتهام الطعام والاكثر من الشرب وغير ذلك مما ينصرفون اليه في مثل هذه المجالس ، كوني فرحة مريحة ، وكلني واشربي وضحكي .. نعم ، اضحكي كثيرا واحملي فاتيانيوس على الاكثر مثلك من الضحك ، ودعيني انفذ الخطة التي رسمتها ، لانني سأنقذك من أيدي هذا الرجل بدون أن تعرضي حياتك للخطر !

— كيف ذلك ؟

— انه سريع التأثير يغرق في الضحك كلما اتحفته بنادرة من نوادي وأذكر أن الطبيب فتيليوس قال لي يوما : « رويدك ياهليوس .. ان سيدك يسخم الجسم كثير الشحم ضعيف القلب . فاذا ما أكثر من الضحك ، يعد الاكثر من الأكل والشرب ، فإن حياته ستكون في خطر » .

— فهمت ... فهمت ...

سيدتي .. ان هؤلاء الرومانيين يقرون لنا نحن المصريين بأنفسنا
سريعوا الخاطر نحسن التنكيت . وسوف يكون التنكيت المصري مفيداً لنا
في هذه المرة ، فيعيد الطمأنينة الى نفسك ، وقد يعيد اليك الحرية .



بعد يومين ، وصل تيبيريوس الى كابري ، ومعه المدعوون الذين وقع
عليهم اختياره ، وعددهم لايتجاوز أصابع اليدين ، وبينهم فاتيونيوس
بقامته القصيرة وبطنه المندلق وشعره الاحمر ووجهه المنقوش بالجذام
وظمئه الدائم الى الملاذ .

ومنذ وصولهم الى القصر، بدأ رفاق قيصر يستعدون للمآدب والسهرة
فدبح الخدم الذبائح . وأوقدوا النيران في المطابخ . وأعدوا لقيصر
وصحبه المقاعد والأسرة والموائد على شرفة القصر الكبرى ، أمام الصخرة
التي أطلقوا عليها اسم « صخرة الموت » لأن تيبيريوس كان يأمر جنده بأن
يلقوا من فوقها في البحر كل من حلت به النعمة القيصرية .

كان ذلك في صيف سنة ٢٤ بعد الميلاد ، وكان نسيم البحر يداعب
أفنان الأشجار في حديقة القصر الغناء ، ويحمل الى أرجاء القصر نفحات
من عبير الأزهار والرياحين . ثم طلع القمر فأغدق أشعته الفضية بسخاء
على ذلك المنظر البديع .

ودبت الحياة شيئاً فشيئاً في الشرفة الفسيحة ، وارتفعت الأصوات
بالهتاف والأناشيد عندما أطل قيصر على مدعويه ، ثم اختلط بهم وجلس
بينهم على سرير الأرجواني .

ودعيت النساء فأقبلن واحدة واحدة ، وكل منهن تحاكي البسدر
جمالاً والحدور سحراً ، وبينهن الرومانية والغالية والمصرية والسورية
والفينيقية والافريقية والافريقية . فكان الامبراطور أراد أن تجتمع في
تلك الليلة ، في قصره ، جميع الاقطار الخاضعة لصولبانه ، المؤتمرة بأمر
روما ، في اشخاص أبرع نساؤها حسناً ودلالاً .

وذاكر الساقون بالكثوس والأقداح ، وغاص الآكلون الى أكواعهم في
اللحوم المكدسة على الأطباق، الغارقة في بحر من الشحم والسمن . وجعلت
النساء ينثرن الورد والياسمين على رؤوس الرجال . ودعى العبيد الى
مضمار المصارعة فتماسكوا أزواجاً ، وأمر قيصر بأن يعتق الغالبون منهم
ويصبحوا أحراراً ، وبأن يلقي المغلوبون الى البحر من أعلى صخرة الموت !
ولعبت الخمر بالرؤوس ، وهاجت الشهوات في النفوس . فاستحال
الامبراطور ومدعووه الى مخلوقات ليس بينها وبين البهائم فارق .

وصاح فاتيونيوس :

— أين أونيسيا .. الى يا أونيسيا .. فقمي عفتي عنك اكراما
لقيصر !

وصاح تيبيريوس :

— أما قلت لك يافاتينيوس انك لن تقوى على فراقها • لقد أحسنت صنعاً في اختيار هذا المكان سجناً لها !

وأسرعت أونيسيا إلى الرجل وطوقت عنقه بذراعيها ، وتمتمت في أذنه :

— أحبك يافاتينيوس !

فنهض الرومانى كالثور الهائج ، يتمايل يمينا ويسارا ، وأرسل يقي أرجاء المكان صيحة ذكرت أولئك القواد بصراخ الوحوش الكاسرة في ملاعب روما :

— أسمعتم ؟ أسمعتم ؟ قالت انها تحبني !

فكررت أونيسيا الكلمة الساحرة :

— أحبك ! نعم •• أحبك !

ثم همست قائلة :

ألا تريد أن يسمعك هليوس طائفة من نوادره الليلة ؟ انه في انتظار •••

ولكن فاتينيوس لم يدعها تتم كلامها ، بل صاح موجهها كلامه الى الامبراطور :

— قيصر ! سنضحك الليلة كثيرا • فان القزم المصرى لعل استعداد للتهريج والتنكيت •

ورددت جوانب القصر ودهاليزه وشرفاته صوتا واحدا كالصدى ، أرسلته تلك الصدور دفعة واحدة :

— هليوس ! هليوس ! هليوس !

دخل هليوس وبيده افعى صغيرة الحجم ، وقد التفت على ذراعه •• وعلى رأسه غطاء صنع على صورة الهرم • وقد ارتدى ثوبا مصرى زاهى الألوان ••

وقال قيصر :

— أضحكنا ياهليوس !

وردد الجميع أيضا :

— أضحكنا ياهليوس !

فانطلق المصرى القزم بين الموائد ، يصعد فوقها أو يمر تحتها •• يداعب رأس هذا ويدغدغ بطن ذاك من المدعوين ، والنوادر تتدفق من فمه كالسيل ، فلا ينتهى القوم من الضحك لنادرة حتى يلحقها القزم بغيرها ، والمدعوون يستلقون على ظهورهم الواحد بعد الآخر •

وكان هليوس يكثر من التهريج ويبدع في التنكيت كلما وصل أمام فاتيبيوس ، على حين أن أونيسيا تصب الخمر في كأس الرجل وتسقيه بلا انقطاع ، ثم تقهقه في وجهه وتردد :

— اضحك ! اضحك أيها الحبيب فستنام الليلة ألد نومة عرفتھا !
وكان فاتيبيوس يضحك ...

وفجأة بينما كان الرجل غارقا في ضحكة أشد من سابقتها ، وقد احمر وجهه ، وانتابته رعشة لم يعد قادرا معها على رفع كأسه بيده صاح هليوس قائلا :

— أتريدون أن تروا كيف ماتت الملكة كليوباترة حبيبة انطونيوس ، من لسعة الحية •

فأجاب الجميع :

نعم •• نعم ...

وصرخ المصري قائلا ، وقد رفع الأفعى فوق رأسه وتظاهر بالوثوب على فاتيبيوس :

— هكذا ••• هكذا ••• فماتت ••

ولكن صرخة انبعثت من صدر فاتيبيوس ، وسقط الرجل على الأرض لاهراك فيه •

وأحاط به الخدم والعبيد ، وحملته النساء بين أيديهن ، والتفت المدعوون بعضهم إلى بعض ، متسائلين مستفهمين ••

ونفضت أونيسيا من مكانها ، وقالت بصوت متهدج :

— قيصر ! لقد مات صديقك وحبيبي فاتيبيوس !

وساد سكوت رهيب •

لكنه كان قصيرا ••

فقد عز على تيبيريوس قيصر أن ينغص عليه هيت — أيا كانت صلته به — لذة تلك الليلة الساهرة والمأدبة الفاخرة ، فرفع يده وأصدر أمره :

— انقلوا جثة فاتيبيوس المسكين إلى الحجرة التي كانت معدة لنومه ولينقل غدا إلى روما لدفنه فيها •

ثم خاطب الحسناء المصرية قائلا :

— أما أنت يا امرأة ، فان بقاءك بيننا سيذكرنا دائما بصديق ورفيق أمين • ولا أريد بك شرا لأنه كان يحبك ولأنك كنت تحبينه ••
فاخرجي ! وغدا ستبحرين في مركب من مراكبي الخاصة إلى بلادك ومعك هذا القزم الذي كان تهريجه وتنكيته الليلة سببا لموت فاتيبيوس •

وعاد قيصر إلى الجلوس على سريريه ، وقال :

– أيها الرفاق ! لم يحدث الليلة ما يمنعنا من الاستمرار في الأكل
والشرب والملاذ .

وفي اليوم التالي أقلعت من ثغر كبرى سفينتان :

سفينة تحمل جثة فاتينيوس الى روما .

وأخرى تحمل أونيسيا ورفيقها القزم هليوس ، الذي بر بوعسده
فأنقذها من الأسر ، وخلصها من سجانها ، وأعاد اليها حريتها ، ورجع
بها الى وطنها الاسكندرية دون أن يعمد في ذلك كله الى سلاح غير سلاح
التنكيت المزوج بالتهريج .

صَدِيقَةُ الشَّهَادَةِ

تمردت الحسنة على أبيها ، ولمسكت بعقيدتها
واخلصنت لأصدقائها، فخنقها أبوها الروماني بيله



عمود ديوكليسيانوس بالاسكندرية ، سمي خطأ عمود
« بومبيوس » ويعرفه السكان باسم « عمود السواري »

دفع الى العالم الفاصل بضع ورقات مضمونة في كراسة من الكرتون.
ومكتوبة بلغة فرنسية عقيمة وقال :

- هذه ترجمة مخطوط يبدو أن أصله مكتوب باللغة اليونانية القديمة ، كما يبدو أيضا ان الاصل كان ناقصا او مشوها او غير واضح المعاني ، لان الترجمة متقطعة ، فيها بعض الابهام والغموض ، ولكن موضوعها على كل حال يستحق الاهتمام . فهل لك أن تنقلها الى العربية ؟

وأنا أقدم للقارئ فيما يلي ترجمة تلك الترجمة الفرنسية للمخطوط اليوناني .

جاء في ترجمة المخطوط القديم :

« كان «بوروس» يحكم الاسكندرية باسم الامبراطور «ديوكلسيانوس» قيصر » ينفلد رغباه ، بهمة ونشاط المتزلفين الذين لا يأنفون من ارتكاب الجرائم ارضاء لسادتهم .

« وكانت لبوروس ابنة وحيدة تدعى (بولا) لم تتزوج بالرغم من أن السن تقدمت بها أكثر مما كان الرومانيون ينتظرون لكي يزوجوا بناتهم . وعبثا حاول بوروس أن يجد لها بين ضباط الجيش الروماني بالاسكندرية زوجا ترضى به .

« وكانت بولا تنظم الشعر وتعزف على القيثارة وتغنى بصوت شجي الاناشيد التي تنظم ابياتها بنفسها . وكانت تنفر من عشرة الناس ولا تتصل الا بعدد قليل من الاشخاص الذين لا يعرف أبوها عنم غير أنهم من المصريين البارعين في حياكة الملابس وصنع الادوات الخوصية .

« ويرجع عطف ديوكلسيانوس على بوروس الى عهد ثورة اخيليوس بالاسكندرية ، فقد أعلن اخيليوس العصيان ، وكان حاكما لمصر كلها وأرسل ديوكلسيانوس حملة قوية لخماد الثورة ، فكان بوروس واحدا من السكان الذين ساعدوا على الفتك باخيليوس وأنصاره .

« ولما أطلق ديو كلسيانوس أيدي جنوده في نهب المدينة وسلبها وحرق بيوتها كان بوروس أيضا واحدا ممن عاد عليهم ذلك بفوائد كثيرة . وأصبح الرجل من كبار اغنياء الاسكندرية .

« وكافاه ديوكلسيانوس فيما بعد بتعيينه في مناصب رفيعة ، حتى وصل الى منصب حاكم الاسكندرية »

أتوقف هنا عن النقل لأقول على سبيل الايضاح :

جلس ديوكلسيانوس على عرش روما فى سنة ٢٨٤ للميلاد وأصله جندى بسيط رفعتة الأقدار والمواهب على السواء الى أعلى منصب فى الامبراطورية .

وثار عليه أخيليوس فى مصر وأعلن نفسه فيهما ملكا ، ثم غلب على أمره سنة ٢٠٢ وفى عهد ديوكلسيانوس كانت المسيحية تغزو النفوس فى الشرق والغرب على السواء فانصرف الامبراطور الى اضطهاد المسيحيين ، وظل يضطهدهم بضعة أعوام حتى أفى منهم آلافا وآلاف فى مختلف أنحاء الامبراطورية وفى مصر على الخصوص .

وقد اشتد اضطهاد ديوكلسيانوس للدين الجديد من سنة ٣٠٣ الى سنة ٣٠٥ ، وهى التى تنازل فيها عن العرش ، وعاش فى عزلة تامة ببلدته «سالونى» بإيطاليا حيث أنصرف الى العناية بحديقته .

وفى الاسكندرية عمود أقيم فيها لتخليد ذكرى ديوكلسيانوس ، أقامه أحد حكام المدينة ، وسماه المؤرخون «عمود بومبيوس» لأنهم قرعوا بين ما تبقى من الكتابة المحفورة عليه حرفى « ب ، و » فاعتقدوا أن القائد الرومانى بومبيوس ، الذى هرب الى مصر فى عهد كليوباترة ، هو الذى أقامه بالمدينة ، ولكن بومبيوس لم يفعل شيئا من هذا ولم يترك بالاسكندرية أثرا .

ويعرف أهل البلد هذا العمود باسم «عمود السوارى» .

ولنعد الآن الى ترجمة المخطوط :

« كان بوروس عونا لديوكلسيانوس فى اخماد ثورة اخيليوس . وكان له فيما بعد عونا فى تشريد اتباع المسيح والفتك بهم ووضع حد لانضمام الناس الى حظيرة الدين الذى يبشر به رؤساؤهم .

« ولما أمر الامبراطور جنوده بذبح النصارى المصريين واليونانيين على السواء فى مدينة الاسكندر ، كان بوروس يشغل منصب الحاكم ، فوجد الفرصة سانحة لظهار ولائه لقيصر مرة أخرى ، كما أظهره من قبل يوم اشترك فى اخماد ثورة اخيليوس ، التى كان الغرض منها استقلال مصر عن الامبراطورية الرومانية .

« وكان ديوكلسيانوس يخشى أن يفعل النصارى فى الاسكندرية ما كان اخيليوس ينوى أن يفعله يوم أعلن العصيان على روما : أى أن يستقلوا عن سيدة العالم فى ذلك الوقت ، ويجعلوا من مصر دولة لاتعترف بسلطان روما ، كما حدث من قبل .

« أرسل الامبراطور الى عملائه ومن بينهم بوروس ، يقول : اذهبوهم عن آخرهم ولا تتركوا منهم رجلا أو امرأة أو شابا أو رضيعا على قيد الحياة . واهدموا اماكن العبادة التى يختلفون اليها ، واحرقوا بيوتهم كي لا يبقى منهم أثر بعد اليوم .

« ونفذ العلماء والحكام والزبانية أوامر قيصر ، فسالت الدماء فى شوارع الاسكندرية ، وتحولت أرضها الى مقبرة .

« ولم يقاوم المسيحيون ولم يقابلوا القوة بالقوة والعنف بالعنف لانهم كانوا أضعف من أن يستطيعوا المقاومة ، ولم يكن لديهم سلاح يقابلون به سلاح جلادهم .

« وحاصر الجند فريقا منهم في المكان الذي نصب فيه بوروس « عمود الخلد » تزلفا لقيصر . ومن سخرية الزمن أن يمر الحاكم في آن واحد أمام عموده ، ويرى جنوده وهم يضربون الهاربين ويجمعونهم حول العمود ليذبّحوهم كما ذبحوا غيرهم .

« وكانت مفاجأة وقف الجنود أمامها مذهولين حائرين ، عندما اقتحمت الصفوف امرأة على وجهها خمار . واتجهت الى بوروس ، ووقفت أمامه ورفعت الخمار عن وجهها ، فاذا هي ابنته بولا ، التي كانت تدين بالمسيحية سرا وتخفي أمرها عن أبيها ، وتمارس دينها مع رفاقها ورفيقاتها في داخل دار الحاكم ، حيث حولت إحدى الحجرات الى معبد للصلاة .

« وأرادت الفتاة أن تشفع للهاربين كي لا يقتلهم الجند . ولكن بوروس لم يجرؤ على إصدار أمره بالعفو عنهم أكراما لابنته ، وسمع الجنود يقولون له : اذا كانت أبتك من أتباع الدين الجديد فلا بد أن تموت مع الآخرين !

« وأشار بوروس الى الجند بأن يترثوا ، واقترب من ابنته ، وخاطبها على مسمع من الناس قائلا لها أن تجاهر أمام الجمع المحتشد هناك بأنها ليست مسيحية ، وأنها باقية على ولائها لآلهة روما ، ولا علاقة لها بأولئك النصارى غير علاقة الصداقة مع بعض منهم .

« ولكن الفتاة صاحب قائلة لأبيها ولمن حولها من الناس، انها صديقة الذين يدينون بالدين الجديد لانها هي أيضا تدين به ، وأنها صديقة الشهداء الذين ذبحهم الجند في أنحاء المدينة وتود لولحقت بهم فاستشهدت مثلهم في سبيل عقيدتها .

« وفار فائر الحاكم لسماعه هذه الكلمات تنطلق من فم ابنته الوحيدة الحبيبة ، فوثب عليها ، وقبض بيديه على عنقها ، وصاح بها قائلا انه يأمرها بأن تجحد بذلك الدين في الحال ، والا فانه يخنقها بيده كي لا تلحق به وبأسرته عار الخروج على إرادة قيصر ودين الامبراطورية .

« فكان جواب الفتاة أنها لن تجحد بدينها وانها تتقبل الموت من يده أبيها في سبيل ربها !

« وخنق بوروس ابنته ، وصاح بالجند قائلا لهم أن يذبّحوا ذلك القطيع ويحولوا ميدان العمود الى مقبرة تكون جثة ابنته أول جثة تلقى فيها . وتعلقت به الانظار وهو يغطي وجهه بطرف رداؤه ويبتعد على ظهر جواده

« وفي ذلك المكان ، حول قاعدة العمود ، ذبح الجند مائة رجل وامرأة
أو أكثر ، واختلطت جثثهم في حفرة حفرها القتلة في الميدان ، ومن بينها
جثة بولا ابنة بوروس . »

هذا ما جاء في الوريقات التي سطرت عليها ترجمة المخطوط
اليوناني فنقلتها كما هي محاولا قدر المستطاع أن أزيل عنها الإيهام
والغموض ...

ويبدو أن الذي كتبها كان معاصرا لذلك العهد : أو أنه كان سمع
القصة ممن عاصر مذابح الاسكندرية .

فهل عمود السواري ، أو عمود بومبيوس ، هو عمود الخلد الذي
نصبه بوروس قاتل ابنته بولا ، التي ابت ألا أن تظل وفيه لاصدقائها
حريصة على أن يكون مصيرها كمصيرهم ، أمينة على الدين الذي اعتنقته
فحل في قلبها محل عبادة الأصنام ، والولاء لآلهة تقرر سفك الدماء ؟

وهل حرفا « ب و » اللذان جعلهما العلماء والباحثين يعتقدون أن
« بومبيوس » هو ناصب ذلك العمود بالاسكندرية ، هما الحرفان الأول
والثاني من اسم « بوروس » الحاكم المتزلف والاب القاتل ؟

(تم الكتاب)

فهرس

الموضوع	الصفحة
اهداء	٣
تصدير	٥
طيف نيثوكريس	٧
سفينة فرعون	١٥
رسول فرعون	٢٣
الجميلة أتت	٣٣
سرويا أخناتون	٣٩
نفرتيتى ، أرملة الزوجين	٤٥
سيتى واليتيمة الحسنة	٥٣
عرائس النيل	٥٩
نحن السابقون	٦٧
فرعون ويهوذا	٧٥
قاهر الوحوش	٨٣
جواهر بطليموس	٨٩
القميص الابيض	٩٧
مصيف المجعيز	١٠٣
معتوقة كليوباترة	١١١
عاشقة الامواج	١٢١
ذات القلبين	١٢٧
المصريات الصائحات	١٣٥
التنكييت القاتل	١٤٣
صديقة الشهداء	١٥٣



۱۵۷ شارع عبيد - روض الفرج
٤٠٨١٤ - ٤٠٥٨٨
تليفون ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢



الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عتيق - روض الفرج

تلفون } ٤٠٧٥٣ / ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ / ٤٠٨٦٤

